مجلة الأزهر

ذى الحجة سنة ١٣٨٤ هـ — ابريل ١٩٦٥ م

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مظاهر رائعة من عظمة الرسول عليه السلام

إيثاره المسلمين على نفسه وأهله في حياته وبعد مماته

للأستاذ الدكتور
علي عبد الواحد وافي

كان عليه الصلاة والسلام في مأكله ومشربه وملبسه وشئون حياته المنزلية الخاصة يعيش كما يعيش أفقر رجل من أصحابه. وقد وصفت حياته هذه السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ تقول: «ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتاليين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم». وتحدثت مرة أخرى عن ذلك مع عروة بن الزبير، وهو ابن أختها: أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين فقالت: «والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى عليه وسلم نار». أي إنه كان يمر على زوجات الرسول عليه السلام شهران قمريان كاملان ويدخل الشهر الثالث بدون أن يكون قد أوقدت نار في بيوتهن لطهو الطعام أو لإعداد طعام من الأطعمة التي يقتضي إعدادها إيقاد نار. قال عروة فقلت لها: «يا خالة! فما كان يعيشكم؟». فقالت: «يا ابن أختي كان معظم عيشنا بالأسودين: «التمر والماء». - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: دخلت يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مضطجع على حصير خشن، فجلست فإذا الحصير قد أثر في جنبه، وإذا عليه إزار ليس عليه غيره، وإذا أنا بقبضة من الشعير بمقدار صاع في ناحية من الغرفة. فابتدرت عيناي بالبكاء. فقال عليه السلام: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ فقلت: يا نبي الله ومالي لا أبكي؟! وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذا ملبسك عليك إزار ليس عليك غيره، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا هذه القبضة من الشعير. وذلك كسرى وذلك قيصر يعيشان في الثمار والنعيم والثياب الفاخرة؛ وأنت نبي الله وصفوته! فقال عليه السلام: «يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا».

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكانت ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها أفقر بناته جميعاً . فقد كانت بناته الأخريات زوجات لثريين من أثرياء قريش وهما : أبو العاص بن الربيع زوج زينب ، وعثمان بن عفان زوج رقية وأم كلثوم ، تزوج إحداهما أولا ، وبعد وفاتها تزوج الأخرى ، ومن ثم يسمى : (ذا النورين) . أما فاطمة فكانت زوجة لابن عمه : على بن أبي طالب . وكان رضى الله عنه من افقر رجال قريش فقد وقف حياته كلها على الجهاد فى سبيل الله ، وإعلاء كلمته ، والتفقه فى دينه ، وإشاعة الثقافة الإسلامية ، وصحبة الرسول عليه السلام ، ولم يشتغل فى حياته بتجارة ، ولا استثمار لأرض ، ولا استغلال لمال وكان أبوه (أبو طالب) عم الرسول عليه السلام فقيرا كثير العيال ، حتى لقد قام بعض أقربائه بكفالة أولاده ، فقام أخوه العباس بكفالة ابنه جعفر ، وقام محمد بن عبد الله قبل رسالته ، وبعد زواجه بخديجة بكفالة ابنه على والقليل من المال والعقار والمتاع الذى تركه أبو طالب بعد وفاته لم يرث منه على شيئا ، وإنما ورثه أخواه : طالب وعقيل ، لأنهما كانا حينئذ على دين أبيهما ، وكان على مسلما ولا يرث المسلم من الكافر ، ولا الكافر من المسلم ، ولذلك حينما قال أسامة بن زيد للرسول عليه السلام يوم فتح مكة : « هل ستنزل فى بيتك يارسول الله ؟ » (يعنى بيت عمه أبى طالب شقيق أبيه) ، أجاب عليه السلام بقوله : « وهل ترك لنا عقيل من منزل ؟! » ثم قال : ولا يورث المؤمن الكافر ، ولا يرث الكافر المؤمن » .

هكذا كان حال ابنته فاطمة وحال صهره على من الفقر ورقة الحال ، وكانت حياتهما فى بيتهما كحياته عليه الصلاة والسلام فى بيته ، فكانا يعيشان فى المستوى نفسه الذى وصفته عائشة ووصفه عمر فى الحديثين السابق ذكرهما حتى إن عليا وفاطمة لم يكن لديهما غطاء يغطى جميع أجزاء جسميهما وهما نائمان ، فكانا إذا جذباه على كتفيهما انكشفت ساقاهما ، وإذا جذباه على ساقيهما انكشفت كتفاهما ، أما جهازهما وأثاث بيتهما فقد وصفه على رضى الله عنه إذ يقول : « إن الرسول عليه السلام لما زوجه ابنته فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة حشوها من ليف ورحيين وسقاء وجرتين ، وكانت فاطمة رضى الله عنها تقوم بنفسها بجميع شئون بيتها وخدمة زوجها ، ولم تكن لديها خادمة تساعدها فى أعمالها ، وقد ذهبت مرة إلى أبيها عليه السلام وعلى يدها وأصابعها آثار الجهد ، وشكت إليه ما هى فيه ، ورجته أن يمنحها جارية من سبايا الحرب تساعدها فيما تقوم به ، فقال لها عليه السلام : « ألا أنبئك بكلمات تزيل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عنك الهم ، وتكشف عنك الكرب ، وحفظها بعض تسبيحات ودعوات تتجه بها إلى الله تعالى ليربط على قلبها ، ويشرح صدرها ويمنحها القوة على عملها ، فرجعت إلى بيتها ومعها بضع دعوات صالحات ترددهن كلما وهنت قواها وشق عليها متابعة ما تقوم به من عمل ، بدلا من الخادمة التى كانت تأمل أن ترجع بها قال ابن أبى ليلى : أخبرنا على أن فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحى فبلغها أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بسبى فأتته تسأل خادما ، فلم توافقه (أى لم تجده) فذكرت ذلك لعائشة فجاء النبى ، فذكرت عائشة له ذلك فأتانا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم ، فقال على مكانكما ، حتى وجدت برد قدميه على صدرى فقال : « ألا أدلكما على خير مما سألتمانى ؟ إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله ثلاثا وثلاثين واحمداه ثلاثا وثلاثين وسبحاه ثلاثا وثلاثين . إن ذلك خير لكما مما سألتماه » ، وورد فى حديث آخر عن على فى هذه القصة قوله عليه السلام : « والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم . ولكن أبيعهم (بقصد الرقيق) وأنفق عليهم أثمانهم » . (وأهل الصفة جماعة من فقراء المسلمين منهم أبو هريرة وأبو ذر الغفارى ، كانوا ملازمين للرسول عليه السلام وكان مقامهم أمام بيوته . وحدد مكانهم الآن بإطار أمام الروضة النبوية الشريفة) .

ولم يعش الرسول عليه السلام هو وأهله هذه المعيشة ، ولم يحمل ابنته وزوجها على أن يعيشا هذه المعيشة ، لعجزه عن حياة الرغد والرخاء . فقد كان لديه من موارد الرزق التى أحلها الله تعالى له ما يتيح له أن يعيش هو وأهله وابنته وزوجها وأولادهما فى أرغد عيش .

فقد جعل الله تعالى له الحق فى خمس غنائم الحرب ينفق منه على نفسه وأهله وذوى قرباه . قال تعالى : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (آية ٤١ من سورة الأنفال) . وجعل الله تعالى له الحق فى الفىء ، وهو ما يحصل عليه المسلمون من أعدائهم بدون حرب على أثر استسلام أو قبول الجلاء كفىء بنى النضير وبنى قريظة من اليهود . قال تعالى : « وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (آية ٧ من سورة الحشر) ، وأهل القرى هم اليهود الذين كانوا يسكنون يثرب وضواحيها . وقد أفاء الله على رسوله مالا كثيرا مما تركوه بعد إجلاء بعضهم ، والقضاء على بعضهم الآخر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويتحدث القرآن الكريم عن ذلك فيقول : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم » (وهم بنو قريظة الذين ظاهروا قريشا وأحلافها وغدروا بمحمد عليه السلام ونكثوا عهده فى أثناء غزوة الخندق ، فأمكن الله تعالى المسلمين منهم وأنزلهم من صياصيهم أى حصونهم) « وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شئ قديرا » (الآيتان ٢٦ ، ٢٧ من سورة الأحزاب) . ومن خمس الغنائم وأموال الفيء التى جعل الله الرسول وذوى قرباه نصيبا كبيرا منها كان يستطيع عليه السلام ، لو أنفقها على نفسه وذوى قرباه ، أن يعيش هو وأهله وابنته وزوجها وأولادهما فى أرغد عيش . ولكنه عليه السلام كان ينفق معظم ما أحله الله تعالى له من هذين الموردين ومن غيرهما على الفقراء والمساكين واليتامى وأبناء السبيل وذوى الحاجة من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ويؤثر هؤلاء على نفسه وأهله وابنته ، ويعيش هو وأهله وابنته عيشة الكفاف ، بل ما هو أدنى من عيش الكفاف ، على النحو الذى وصفناه .

وقد أبى عليه السلام إلا أن يؤثر المسلمين على نفسه وأهله وابنته ، وأبى إلا أن ينأى بنفسه وأهله وابنته عن مواطن الشبهة والريبة واستغلال المكانة والقرابة ، لا فى حياته فحسب ، بل بعد مماته كذلك ، فقد قرر عليه السلام أن ما يتركه بعد وفاته لا ترثه بناته ولا زوجاته ولا يرثه أحد من أقربائه ، وإنما يضم إلى بيت المال فيكون لجميع المسلمين .

وفى هذا يقول عليه السلام : « لا تقسم ورثتى دينارا ولا درهما ، ما تركت بعد نفقة أهلى ومئونة عاملى فهو صدقة » . ومن ثم لم يعط أبو بكر بنات الرسول ولا زوجاته ولا أحدا من أقربائه شيئا مما تركه الرسول بعد وفاته ، حتى بيوته عليه السلام نفسها فقد أبيح لزوجاته من بعده مجرد الاحتفاظ بسكنها فقط ما دمن على قيد الحياة ، وكانت كلما توفيت واحدة منهن ضم بيتها إلى المسجد الذى يعم نفعه جميع المسلمين ؛ وهكذا حتى دخلت بيوتهن جميعا فى المسجد النبوى وفى مكانها الآن قبر الرسول عليه السلام وما يقع أمامه من مسجده ، فقد كانت هذه المساحة مشغولة ببيوت أمهات المؤمنين ، وكذلك كان لكل واحدة منهن نفقتها فقط من تركة الرسول ، وبعد وفاتهن ضم ما كان ينفق منه عليهن إلى بيت المال ، وصرف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى منافع المسلمين . ولم يرث بيوتهن ولا مصادر نفقاتهن أحد من أقربائهن .

* * *

وليس معنى هذا أن الرسول عليه السلام كان يعيش عيشة تحنث ورهبنة ؛ بل لقد كانت حياته حياة عمل وجد نشاط ، وكان قسط كبير منها وقفا على الجهاد وقيادة الجيوش وتدبير شئون المسلمين وتبليغ الرسالة ونشر الدعوة وتنظيم العلاقات بين المسلمين وغيرهم وعقد المعاهدات ... وما إلى ذلك من عظائم الأمور . وكان يأخذ من الدنيا بعض ما أحله الله له ؛ ولا يدع العبادة تستأثر إلا بجزء من وقته . جاء إلى بيوت الرسول عليه السلام ثلاثة رهط من كبار الأتقياء ممن عزفوا عن جميع متع الحياة ، وتفرغوا للعبادة ، جاءوا إلى بيوت الرسول يسألون عن عبادته حتى تتم محاكاتهم له ويتداركوا ما عسى أن يكون قد فاتهم ، فلما أخبروا بمناهجه فى العبادة كأنهم تقالوها ، أى عدوها قليلة بالقياس إلى عبادتهم هم . وقالوا ملتمسين للرسول العذر ومبررين انكبابهم على عبادة الله : وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وقال أحدهم : أما أنا فإنى أقوم الليل أبدا ولا أهجع وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر وقال ثالثهم : وأنا أعتزل النساء أبدا ولا أتزوج تبتلا وتقربا لله ؛ فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنتم الذين تقولون كذا وكذا ؟ ؛ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكننى أصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

دكتور على عبد الواحد وافى

محمد وصحبه فى القـــرآن

« محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجـــرا عظيما » ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

حول ظلمات الكفر... وأضواء الإيمان

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

(ا) « إن الذين لا يرجون لقاءنا ، ورضوا بالحياة الدنيا ، واطمأنوا بها ، والذين هم عن آياتنا غافلون : أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون » . ٧ - ٨ يونس

(ب) « إن الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، يهديهم ربهم بإيمانهم ، تجرى من تحتهم الأنهار ، فى جنات النعيم ... دعواهم فيها : سبحانك اللهم ... وتحيتهم فيها سلام ... وآخر دعواهم : أن الحمد لله رب العالمين » . ٩ - ١٠ يونس

١ — فى الشطر الأول : حديث عن الكافرين ، وسوء منتهاهم ...

وفى الشطر الثانى : نماذج من مباهج المؤمنين فى أخراهم .

وقد يخطر لإنسان أن القرآن تحدث كثيراً عن الإيمان وأهله ، وعن الكفر وأصحابه : حتى أصبح شأن الفريقين مستفاداً من آيات لا تبلغ هذه الكثرة التى نتلوها فى مقامات عدة ... فلا تكون هذه الكثرة إلا لمجرد التأكيد ، وإزالة الشبهات ...

ولكن ذلك زعم غير حصيف ... أو هو زعم من يضيق وعيه عن مرامى القرآن فى خطابه للناس وفى توجيهاته ...

فإن الله لم يخلقنا سدى ، ولم يتركنا هملا ، وإنما خلقنا تنفيذاً لحكمته ، ومظهراً لقدرته ، ورسم لنا فى الدنيا مناهج ، وأعد لنا فى الآخرة مآلا يختلف باختلاف مسالكنا فى الحياة .

فكان من تمام فضله على الناس : بل على الإنس ، والجن أن يبصرهم تشريعه بما يكفل هداهم ، ويكشف لهم من الغيب عنهم ما تقصر دونه أفهامهم ، أو تطغى عليه أهواؤهم ، وشواغلهم .

فإذا قرأنا كثيرة من الآيات فى التوجيه إلى الإيمان والترغيب فى عقباه . . أو قرأنا كثيراً عن الكفر والتحذير من منتهاه : فإن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى هذا التكرار مساندة للعقول بالتذكير وفيه تقويم لما فى النفس من عوج لا يستقيم وحده : وفيه تجلية لصدأ القلوب من شوائب الغفلة ، أو عدوى التقليد لأهل النفاق .

فلا يكون تكرار القرآن لحديثه عن الإيمان أو غيره لمجرد التأكيد ، وإزالة الشبهات .

بل هو فى كل مقام : يراد منه استلفات التوجيه ، وإبراز الحق ، وإثارة الوعى من غفلته حينا بعد حين .

وإن نظرة القارىء فى كل آية مستقلة عما يراد فيها لتحدث عنده تنبها جديدا ، وخشية مستمدة من نفس الآية باستقلالها ...

ولا تحمل على التأكيد لسواها إلا عند مانجمع آية إلى آية أخرى فى موضوع واحد ، فقد يراعى التوافق فى الغرض المتحد ...

على أنك حينما تجمع بين الآيتين مثلا : فأيهما التى تراها تأسيساً ، والتى تراها تأكيداً ؟ ؟ ذلك مطلب عسير على الكثيرين : إلا إذا عرفنا تاريخ النزول على وجه الضبط ... وهيهات

وعلى هذا الأساس ننظر فى الآيتين السالفتين (ا ـ ب) .

(ا)

٢ ـ « إن الذين لا يرجون لقاءنا ... الآية » .

فى الكفر مقاطعة العبد لربه ، وحين المقاطعة الروحية لا يتجه العبد نحو ربه بخوف من عذابه ، ولا طمع فى ثوابه ، فإنه ينكر لقاء الله بعد الحياة الدنيا ، ولا يحسب أن هناك بعثا ولا حساباً ، فلا مثار عنده لرجاء بمعنى الخوف ، أو الطمع .

وهذا وصف من جملة صفات يذكرها القرآن عن الكافرين « لا يرجون لقاءنا » .

والانصراف عن الآخرة ، وإنكار مابعد الموت يربط الإنسان بدنياه ، ويفرغ لها قلبه ، وحبه كله .

فلا يتخلى عن التعلق بها ، بل ينحصر همه فيها ، وذلك وصف ثان من لوازم الكفران . « ورضوا بالحياة الدنيا » .

وحين يتصور الخيال أن الدنيا هى المراح والمغدى ، وأن حبها هو المتاع والحظوة : تكون أثيرة عند المرء ، ويطمئن إليها كأنها الخلود الذى لا يتبدل ، والنعيم الذى لا يتحول فهى قبلته المرموقة ، وهى عبادته الشاغلة عما سواها ... وذلك وصف ثالث ذكرته الآية « واطمأنوا بها » .

وإذا ما اجتمع حول المرء عوامل ثلاث ، مقاطعة لله ... وتفرغ للدنيا ... واطمئنان إلى مفاتنها : لا تجد بين جنبيه قلبا يفقه ... ولا نفسا تخشع ... ولا حياة لضمير ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وعند ما ينحدر المرء إلى هذه الهاوية يفقد كل معانى الإدراك المنشود ... ويبتعد عن كل تقدير ، ويتجرد من ملاح الرشد .

وهذه هى المسماة فى القرآن بالغفلة عن آيات الله فى سمائه ، وفى أرضه ، وفى كتابه الذى يناديها ولكن لا حياة لمن ينادى ... وتلك خصلة رابعة « والذين هم عن آياتنا غافلون » .

٣ — وفى هذا المستوى يكون الإنسان فى جهالته قد انحط إلى البهيمية ، بل يكون أسوأ منها حالا ، لأنها معذورة بحرمانها من خصائص البشرية التى استوفاها وأغفلها . « أولئك كالأنعام ، بل هم أضل : أولئك هم الغافلون » .

وهؤلاء الذين ورطوا أنفسهم فى الكفر وتردوا فى ظلمانه : لابد لهم من مآل يستقرون فيه مهما يكن زعمهم فى عدم البعث أو الغفلة عن آيات الله .

فليكن مأواهم لائقا بمسلكهم ومثبتا لما جحدوه .

وهذ هو منطق العدل الذى قامت عليه شرعة الله فى سياسته لخلقه ، وقد كاشفهم الله بذلك قبل أن تفلت من أيديهم الفرصة « أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون » هم الكاسبون لهذه المآثم ؛ فجزاؤهم من جنس عملهم .

٤ — والجزاء بعد العمل يعتبر مبادلة بين الله وعباده ... فما تقدمه نكافأ عليه « ولا يظلم ربك أحدا » .

٥ — وانظر بعد ذلك إلى الآية الثانية « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ... الآية » .

الإيمان : صلة وثيقة بين العبد وربه ، وفرق ما بين المؤمن والكافر أشبه ما بين النور والظلام أو ما بين العلم والجهل ، أو ما بين الحياة الفاخرة ، والموت المسخوط الرخيص وخاصة إذا كان إيمانا مقرونا بصالح الأعمال ، وذلك هو الإيمان الكامل الذى تعلنه الآية ، ويعنى به القرآن أكثر من إيمان مجرد عن عمل .

والإيمان المثمر لصالح الأعمال هو العلاقة الروحية التى تهش لها الفطرة السمحة وتطمئن إليها النفوس المشرقة ، وتجنح إليها الإنسانية العالية الرحيمة .

وبذكر الإيمان ، وعمل الصالحات : انبثق فى مجال الحديث نور ، وفاح منه عبير ، وابتسم فى مطلعه أمل .

لأنه حديث عن الإيمان ، والمؤمنين ، وليس أحب إلى الله من الإيمان ، وذكر المؤمنين ... ! .

وأنت تلحظ هذه الملاح فى سياق الآية فقد تجاوزت عن ذكر الأعمال فى تفصيل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى ذكر المباهج التى يظفر بها المؤمنون .

وكان الحديث عن الكفار بذكر أعمالهم البغيضة ، ليقيم عليهم الحجة بما كسبوا حتى كانت النار مأواهم ، وفى هذا الخط صدود عنهم ، وتجهم فى شأنهم ، وانصراف إلى سواهم .

أما المؤمنون فيتبسط القرآن فى ذكراهم ويرطب الحديث عنهم بذكر تلك المباهج المرموقة ، التى كانت لهم جـــزاء كريم عند ربهم .

٦ — وأولها « يهديهم ربهم بإيمانهم » كانت هدايتهم فى الدنيا إيمانا وعملا ... أما هدايتهم الآن : فهى توجيه إلى الجنة بعد البعث والحساب ... وهى تمكين لهم من منازلهم فيها ، وتحقيق لآمالهم التى تعلقوا بها ، واستجابة لطاعتهم فى الدنيا بإدراك ما تطلعوا إليه فى الآخرة .

وانظر فى لطافة التعبير : يهديهم ربهم !! فإنه يتعهدهم برعايته ، ويقرر اعترافهم بأنه ربهم .. !! وذلك هو عنوان الإيمان الذى كان السبب فى الجزاء .

٧ — وثانية المباهج « تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم » .

إذا أتيح للإنسان فى دنياه أن يعيش وقتا ما بين زروع وأنهار ، وفى صحة ورخاء : جاشت بنفسه مسرة تملك عليه نفسه ، وتجمع إليه ألوان الهناءة ، فينسى همومه ، ويكاد يحسب أن الدنيا تطوعت له .

ونحن نعلم أن نعيم الجنة فوق تقديرنا له وأن متع الدنيا دون ما هنالك بكثير وكثير .

فما بالك إذا عرف المؤمنون أن لهم خلودا فى الجنات ، يتقلبون فى نعيمها ، ويحظون بمشاهدها ، ويتفيئون ظلالها ، ويتملئون بأعينهم ، وأحاسيسهم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

٨ — ثالثة المباهج « دعواهم فيهـــا : سبحانك اللهم » .

والدعوى هنا هى الدعاء ويكون بالتسبيح والتمجيد تلذذا ، وطربا ، وبهجة بما هم فيه ، وشكرا على ما منحهم ، وليس ذلك تكليفا ، فقد تجاوزوا حياة التكليف إلى الخلود فى نعيم مقيم :

وليس دعاؤهم طلبا لشىء ، فقد أغناهم الله عن الطلب : وكلما تعلقت رغبتهم بشىء ، تفضل الله عليهم به ، دون سؤال : وفى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا شغل عبدى ثناؤه على عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) .

وإذا كان هذا فى أهل الدنيا : فما ظنك بأهل الجنة .

٩ — وبهجة رابعة « وتحيتهم فيها سلام » المعنى : تحية الله لهم : سلام وأمان من كل ما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كان يحياه المرء فى دنياه : ونحو هذا « سلام قولا من رب رحيم »

وتحيتهم من الملائكة كذلك : سلام يرددونه عليهم ، كلما تلاقوا معهم : للتكريم والتهنئة « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

وتحية المؤمنين فيما بينهم كذلك : سلام يتبادلونه فى صفاء ، وحبور ، ومسرة تتجدد فلا يشوبها كدر ، ولا تلاحقها غضاضة : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل ، إخوانا على سرر متقابلين ، لا يمسهم فيها نصب ، وما هم منها بمخرجين » .

١٠ — وخامسة المباهج « وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » .

فى كل ما يصادفونه من نعمة ... وفى كل ما ينتهون إليه من شأن يحمدون الله رب العالمين .

وهذا شعار يدين به أهل الجنة على سواء . فالكل شاعر بحظه فى جوار الله ، والكل آمن على سعادته فى رحاب الله ...

ومهما يكن بينهم من تفاضل : فلا حسد ، ولا أنانية ، ولا جشع ، ولا غير هذا ..

بل العيون قريرة ، والنعماء وفيرة ، والحياة فضفاضة الجوانب ، والأمل مديد غير مقطوع : « وجوه يومئذ ناعمة . لسعيها راضية . فى جنة عالية . لا تسمع فيها لاغية . فيها عين جارية . فيها سرر مرفوعة . وأكواب موضوعة . ونمارق مصفوفة . وسائد . وزرابى مبثوثة » بسط مفروشة .

وهذا قبس موجز عن نعيم الجنة ...

ونعيمها — كما سلف — فوق ما تراه العين فى الدنيا ، وفوق ما سمعت الأذن ، وفوق ما يخطر على قلب بشر ...

وإن كانت مطامح النفس ، والعين لا تقف عند حدود ، ففى الجنة كما قرر الكتاب الكريم ما تشتهيه الأنفس ، وتلذ الأعين : من مستطاب لا يحيط به خيالنا .

١١ — وفى نهاية الحديث بذكر الحمد على لسان المؤمنين فى الجنة توجيه لنا إلى الاعتراف لله بفضله ، وتقرير الحمد له على ما ندرك من خيره ... كما وجهنا فى مقامات أخر إلى الابتداء بذكر اسمه — تعالى —

فيكون العبد فى سائر شئونه مستعينا بذكر الله ، ومنتهيا إلى حمد الله .

وهكذا يكون اللسان رطبا بالثناء ، وبالشكر ، والدعاء .

فلا يكون العبد جافا مع ربه ، ولا مقاطعا للتوجه نحوه .

وقد قال سبحانه : « فاذكرونى أذكركم » ؟

عبد اللطيف السبكى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نقد ابن تيمية لمذاهب الاتحادية والقائلين بوحدة الوجود

للأستاذ عبد الفتاح الديدي

— ٢ —

أما السبب الرابع الذى من أجله هاجم ابن تيمية جماعة المتصوفة فيرجع إلى تاريخ التصوف ذاته . فنحن نعرف من هذا التاريخ أنه وجدت فئات تقول بالحلول والاتحاد وبوحدة الوجود . والحلول من شأنه أن يجعل مجانسة بين الوجودين : الإنسانى والإلهى أو الناسوت واللاهوت كما جاء فى شعر الحلاج أما الاتحاد فيقصد أصحابه تصيير ذاتين واحدة أو امتزاج الاثنين فى كائن واحد كابن الفارض الذى أفناه حبه لمحبوبه عن نفسه ؛ فلم يشعر إلا بالاتحاد التام به فقال :

متى حلت عن قولى « أنا هى » أو أقل

وحاشا لمثلى أنها فيّ حلّت

فإذا كان الحلول اثنينيا فالاتحاد واحدى . وبذلك تكون كل من النظريتين ملحدة بالنسبة إلى الدين الإسلامى ، فهو لا يعترف بإمكان هذه الواحدية كما لا يقر بالمجانسة بين الاثنين ولعل ابن تيمية لم يخفف من حكمه على ابن عربى إلا لأنه كما جاء فى النص السابع من نصوص الحكم يقول : بأن الله أحدى بذاته ولا يقبل التبعيض ، ولكنه يحل عليه حلا شديدا فى بعض أجزاء نقده ، وعلى مذهبه فى الوحدة ، فيقول مثلا : (ص ٢٥ ج ٤ م . ر . م .) فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ، وليسوا غيره ولا سواه ؟ ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه وأن كل ناطق فى الكون فهو عين السامع ؟ وأن الناكح عين المنكوح ؟ » ومن ذلك أيضا (بالجزء الأول ج ٧٧ م . ر . م .) نقده لقول ابن عربى ظاهره خلقه ، وباطنه حقه ، فيقول : « هو قول أهل الحلول ، وهو متناقض فى ذلك ؛ فانه يقول بالوحدة ؛ فلا يكون هناك موجودان : أحدهما باطن ، والآخر ظاهر ، وهذه النقطة بالذات تحتاج إلى توضيح أكثر من هذا وخاصة فيما يتصل بمذهب ابن عربى ، وسنتحدث عنها عند الكلام عن فهم ابن تيمية للاتحاد والوحدة ، ومقدار نفاذه فى مذهب ابن عربى .

هذه الأسباب الأربعة هى التى دفعت ابن تيمية دفعا إلى مهاجمة القائلين بالاتحاد والوحدة من المتصوفة . وسأتكلم الآن عن عناصر هذا النقد وهى ثلاثة عناصر :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١ ــ العنصر الأول هو العنصر الخطابي وهذا يبدو بوضوح في أنحاء كثيرة من نقد ابن تيمية . فكثيرا ما تراه يحاول التأثير في نفوس الناس بطرق ليست من الصدق أو المنطق في شيء ، ويضطر في أغلب الأحيان إلى الاعتماد على السب والشتم . كثيرا ما يقول « وهذا مع أنه من أعظم الكفر والكذب الباطل في العقل والدين » ، أو يحاول الإغراء فيقدم لرأيه قائلا : « والذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة عقلاء بني آدم من جميع الأصناف » . ويحاول في جملة أنحاء من نقده إظهار ما في التصوف من عناصر مسيحية وذلك كيما يجعل الناس تزهد فيه ، وتعتقد في أهله الكفر ، ويشعرون بالكراهية نحوه مثل كراهيتهم للعقائد المخالفة للإسلام . فمثلا تراه يعلق على بيتي الحلاج .

« سبحان من أظهر ناسوته
سرسنا لا هوته الثاقب »
« حتى بدا في خلقه ظاهرا
في صورة الآكل والشارب »

بقوله : «فهذه قد تعين بها الحلول الخاص كما تقوله النصارى في المسيح » وهذا الكلام حين يكون في معرض البحث والدراسة لهذه الطائفة يكون معقولا إلى حد ما ، وحتى حينما يقوله رجل كما سيئيون في كتبه نشك في مقدار صدقه . أما إذا جاءت في معرض النقد فلا معنى لها إلا مجرد محاولة التجريح ، خاصة ، وأن موقف الإسلام من هذه النقطة بالذات في المذهب المسيحي مناقضة على الإطلاق .

٢ ــ أما العنصر الثاني فهو العنصر الديني فتجده في حلوله التي يقدمها لمعظم المشاكل يعتمد على وجهة النظر الدينية بمفردها ويتكئ عليها مسلما بها في إذعان ، وبغير مناقشة . وهذا الموقف محسوس منذ بدأ نقده حتى ليمكن القول بأنه : كان يتهرب من المناقشة الموضوعية ويلتصق التصاقا بالنظرية الدينية التي يسلم بها كل إنسان مضطرا تحت تأثير الخوف : إما من الله أو من السلطة الحاكمة . ولنضرب مثلا بمشكلة الخير والشر ؛ فأصحاب الوحدة والاتحاديون يقولون لهذه المشكلة تفسيرا لا يضع من قيمة الشر ، ولا يحط من قدر الأفعال المنكرة بوصفها داخلة ضمن النطاق الإلهي : وكان أغلبهم يحتج بالقدر على المعاصي ويجد مبررا لأعماله من هذا الطريق . ويرد ابن تيمية عليهم قائلا : « إذ لا يمكنه أن يجعل القدر حجة لكل أحد ؛ فان ذلك مستلزم للفساد الذي لا صلاح معه ، وللشر الذي لا خير فيه . إذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما عوقب معتد ، ولا اقتص من باغ » . وهذا الرد بطبيعة الحال ديني خالص ولا يمكن بحال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن يقنع واحدا لا يؤمن بالثواب والعقاب الآخرويين: وحينما يريد أن يجيب إجابة معقولة على هذه المشكلة يدخل فى كلام لا معنى له أو هو بعينه الذى يرد عليه كقوله: « فالأمر الكونى ليس هو أمرا للعبد أن يفعل ذلك الأمر، بل هو أمر تكوين لذلك الفعل فى العبد أو أمر تكوين لكون العبد على ذلك الحال » ثم يتبعه بمقولة دينية: « فهو سبحانه هو الذى خلق الانسان طوعا: إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا، وهو الذى جعل المسلمين مسلمين كما قال الخليل: (ربنا، واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) فهو سبحانه جعل العباد على الأحوال التى خلقهم عليها، وأمره لهم بذلك أمر تكوين بمعنى أنه قال لهم: كونوا كذلك فيكونون كذلك ». ويقول بعد هذا كلاما طويلا يختمه بهذه العبارة الصريحة: « وليس فى القدر حجة لابن آدم، ولا عذر بل القدر يؤمن به ولا يحتج به، والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين، متناقض، فإن القدر إن كان حجة وعذرا لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتص منه، وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمه إذا ظلم فى نفسه وماله وعرضه وحرمته أن لا ينتصر من الظالم، ولا يغضب عليه، ولا يذمه. وهذا أمر ممتنع فى الطبيعة لا يمكن أحداً أن يفعله؛ فهو ممتنع طبعا محرم شرعا. ولو كان القدر حجة وعذرا لم يكن إبليس ملوما معاقبا، ولا فرعون وقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار ». الخ هذا التعليل الذى يسوقه ابن تيمية (ص ٨٩):

٣ — والعنصر الثالث هو العنصر الفلسفى والمنطقى: والحق: يقال إن ابن تيمية وإن كان كارها للفلسفة ومتعذا بها فى كل مناسبة لعلمه بأن كثيرا من أفكار الوحدة والاتحاد إنما جاءت من اليونان (راجع ص ١١٣ (١) دائرة المعارف الإسلامية) فإنه كان عقلية خصبة وقوية فى نفس الوقت. ولذلك يقول عنه ماسينيون (فى ص٣٨٦ ج ١ من كتاب الحلاج) فى مسألة الحلاج: يعد ابن تيمية رجل الشرع الوحيد الذى اتخذ موقفا منطقيا متماسكا: وهذا صحيح إلى حد كبير؛ فإننا نجد ابن تيمية يعقد فصولا برمتها من الرسائل التى ينقد فيها الاتحاد والوحدة لبحث فكرة فى المنطق أو معالجة موضوع من موضوعاته الفكرية واللغوية معا:

أنظر مثلا حينما يحاول ابن تيمية أن يكشف الضعف فى القول بوحدة الوجود عن طريق إثبات خطأ القضية: « أن الوجود واحد » فهو هنا منطقى يحاول أن يظهر الخطأ العقلى فى فهم حكم من الأحكام. هو يذهب بعيدا عن التفسيرات المختلفة التى تتعلق بهذه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

النقطة ويتمادى عن صلة الفكرة بجملة المذاهب التوحيدية ويأخذ فى تحليل القضية البسيطة التى تحكم على الوجود بأنه واحد .

وهذا ليس غريبا كما قد يبدو لأول وهلة عن روح ابن تيمية . فهو فى كثير من مواضع نقده يأخذ فى الإبانة عن معرفته بأصول المنطق ، وقواعد الاستدلال . ويترك النقطة الرئيسية التى يتحدث فيها كيما ينساق بالقارىء إلى بحوث منطقية ولغوية صرفة . ولهذا نجـــده علاوة على جملة ما هاجم به الصوفية ، وأصحاب الوحدة منهم خاصة ، يبذل عناية شديدة بالناحية العقلية فى أساليب كتابهم وإذا استطعنا بسهولة أن نجد عناصر خطابية أو عناصر فلسفية ، أو عناصر دينية فى أسلوب ابن تيمية النقدى ؛ فإننا سنكون بنفس السهولة قادرين على اكتشاف عناصر منطقية خالصة فى طريقة مهاجمته لهؤلاء القوم . وهو إذ يفعل هذا ، نراه يرتكن على نقده لعدة من أهم القضايا التى يرتكز عليها مفهوم الوحدة الوجودية عندهم من هذا مثلا : « الكثرة وهم » فهذه قضية من وضع « ابن سبعين » على الخصوص وهو إذ قام بوضعها فإنما جعلها فى مقابل قول المسلمين : « لا إله إلا الله » ، وابن تيمية فى عرضه لنقد هذه القضية كان مرتكنا على نظرة تكاد تكون قريبة الشبه من بعض أصحاب المنطق الحديث ، فهو يعمل حسابا للذات الإنسانية حين تحكم بوصفها العنصر المدرك فى هذا الوجود . يقول : « هذا تناقض ، فإن قوله « وهم » يقتضى متوهما ، فإن كان المتوهم هو الوهم ، فيكون الله هو الوهم ؛ وإن كان المتوهم هو غير الوهم فقد تعدد الوجود . وكذلك : إن كان المتوهم هو الله فقد وصف الله بالوهم الباطل ، وهذا مع أنه كفر ، فإنه يناقض قوله : الوجود واحد ، وإن كان المتوهم غيره ؛ فقد أثبت غير الله ، وهذا يناقض أصله . ثم متى أثبت غيراً لزمت الكثرة فلا تكون الكثرة وهما بل تكون حقا . (ص ٧٨ ج ١ م . ر . م .)

فالقول بأن الكثرة وهم فيها خطأ منطقى يلاحظ إذا ما قمنا بتحليل معنى كل من هاتين اللفظتين . فكلمة الوهم تقتضى الواهم . ومادام هناك واهم فلا يمكن أن يكون هو نفسه الله . إذن فهناك شىء آخر غير الله وهناك أكثر من وجود واحد .

والمهم هو أن نعرف الآن أن ابن تيمية لم يكن قويا كل القوة فى هذا الجانب لأحد أمرين : إما رغبته فى تشويه صورة التصوف وإما جهله ، أو خطؤه فى فهم بعض آراء أصحاب الوحدة والاتحاد والحلول والفروق الدقيقة فيما بينها . فكثيرا ما تراه يخلط بين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أشياء ما كان يخلط بينها لو صدق النية ، أو لو أحسن الفهم .

أنظر مثلا تعليقه على بيتى ابن الفارض :

وشاهد إذا استجليت ذاتك من ترى
بغير مراء فى المراء الصقيلة
أغيرك فيها لاح ، أم أنت ناظر
إليك بها عند انعكاس الأشعة

فهذا التمثيل فى نظره فاسد لسببين :

أولا : لأن الناظر فى المرآة مثال نفسه فيرى نفسه ويرى المرآة ، ولا يمكن أن يرى نفسه بغير أن تتوسط المرآة .

وثانياً : لأن هذه المرآة لا بد أن تكون خارج نفسه فيرى نفسه ، أو مثال نفسه فى شىء سواه ، وإذا كان الأمر على هذا النحو فثمت تناقض ظاهر لأن الكون عندهم كما يقول : ليس فيه غير ولا سوى ، فليس هناك مظهر مغاير للطبيعة ، ولا مرآة مغايرة للرائى ، (ص ٨٧ م . د . م . ج ١) .

فالواقع أن ابن الفارض لم يكن من أصحاب الوحدة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وكل ما تدل عليه أقواله ، هو أنه قد أفنى نفسه فى حب الله ، وعن كل ما سوى الله ، فلم ير - بالتالى - فى الوجود غيره ، وهذه وحدة شهود لا وحدة وجود ، وفرق بين فيض العاطفة وشطحات الجذب ، وبين نظرية فلسفية فى الإلهيات ... أى أن ثمة فرقا بين الحلاج صاح الذى فى حالة من أحوال جذبه بقوله : « أنا الحق » أو ابن الفارض الذى أفناه حبه لمحبوبه عن نفسه ، فلم يشعر إلا بالاتحاد التام به وبين ابن عربى الذى يعبر فى صراحة لا مواربة فيها ولا لبس لا عن وحدته هو بالذات الإلهية ؛ ولا عن فنائه فى محبوبه ، بل عن وحدة الحق والخلق ، إذن لم يكن لمذهب وحدة الوجود وجود فى الإسلام بصورته الكاملة قبل ابن عربى كما يقول الدكتور أبو العلا عفيفى (ص ٢٥ فصوص الحكم) ، وابن الفارض ليس إلا من أصحاب الاتحاد الذين يفترضون الثنائية مقدما ، فالاتحاد بهذا المعنى يتضمن وجود كائنين يصيران شيئا واحداً .

ولنضرب مثلا آخر من نقده لابن عربى : فهو يزعم أنه يثبت الذات ، ويقول بتجليها عند المشاهدة والمكاشفة ، فى حين أنه يحكم بعكس ذلك ، ويأتى بدليل على تناقضه فى هذا من قوله :

ما غبت عن قلب ولا عن عين
ما بينكم وبيننا من بين

فيعلق على هذا البيت بقوله : حتى لو تغاضينا عن هذا التناقض الظاهر فى أحكامهم ، فإننا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى البيت، أو فى هذا المعنى الذى يجىء به الشاعر تكون بإزاء قول يقتضى المغايرة، أى أن يغاير المخلوق خالقه وأن يكون المخاطب غير المخاطب والشاهد غير المشهود. ويذهب فى تفصيله لرأيه قائلا «ما بينكم وبيننا من بين» فيه إثبات ضمير المتكلم وضمير المخاطب وهذا إثبات لاثنين وإن قالوا مظاهر ومجال، قيل: فإن كانت المظاهر والمجالى غير الظاهر المتجلى فقد ثبتت التثنية وبطل التعدد، وإن كان هو إياها فقد بطلت الوحدة فالجمع بينهما تناقض (ص ١٠١ ج١ م ر م) والواقع أن هذه المغايرة لا قيمة لها لو قطن ابن تيمية لمعنى البيت فهما صحيحا فأية مغايرة تلك التى تكون بين كائنين لكل منهما نفس المكان والزمان، فكلمة «ما» فى أول البيت حددت الزمان وكلمة بين حددت المكان، ولم يعد من الممكن الفصل بين الخلق والخالق بهذا المعنى على الرغم من التفرقة المعنوية الظاهرة بين كل منهما. فالشيئان اللذان يحتلان مكانا واحدا وزمانا واحدا لا يمكن إلا أن يكونا شيئا واحدا، وبالتالى نعرف أنه لا تناقض هناك فى كلام ابن عربى فاذا كان للعلوم الفلسفية أثرها فى تفكير شيخ الإسلام ابن تيمية - كما يقول مصطفى عبد الرازق (ص ١٢١ فيلسوف العرب والمعلم الثانى) فإن تفكيره أحيانا لا يستوفى التمحيص الفلسفى».

وهناك نقطة هامة فى الاستدلال القرآنى أغفلها ابن تيمية إغفالا تاما وهى أن الآيات التى كان يستشهد بها من حين لحين يمكن أن يوجد لها مقابل يؤيد مذهب الصوفية تأييدا كليا وجزئيا، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى ما فى الشريعة من ازدواج كما يقول جولد تسيهر، فمن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقيديا متجانسا أو نشتق جانبا واحدا فى تأييد مطلق لتيار معين، والآيات والأحاديث التى يستشهد بها الصوفية والتى تؤيد أقوالهم أكثر من أن تحصى وأذيع من أن تحتاج لتعريف جديد، وبهذا نعرف أن ابن تيمية لم يكن حريصا كل الحرص، وأن السلاح الذى استخدمه لحرب القائلين بالاتحاد والوحدة لم يحسم فى الأمر تماما؟

عبد الفتاح الديدى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ضجة مفتعلة ينكرها الدين والواقع

للأستاذ محمد الغزالي

تقبست بشيء غير قليل من الدهشة الغط الطويل الذى احترف إثارته بعض الناس حول ما يسمى بقوانين الأحوال الشخصية.

وأريد أن أنفى أولا وجود هذه التسمية فى ميدان الفقه الإسلامى وأن أرفض الإيماء المقترن بها.

فشرائع الأسرة ليست أحوالا شخصية تهم أصحابها وحدهم من حقهم أن يبقوها إذا شاءوا أو يغيروها إذا شاءوا.

وإذا كان هذا العنوان اصطلاحا فنياً محضاً فهو ليس من وضع علماء الإسلام، ويبدو أنه مترجم عن اللغة الفرنسية ولا وجود لكلمة قوانين الأحوال الشخصية فى كتبنا الفقهية كلها.

وندع هذا الاستطراد إلى موضوع حديثنا وهو ما شرع الله فى الزواج والطلاق والحضانة والميراث. فنقول فى حسم. إن أى تفكير فى تغيير هذه الشرائع مرفوض جملة وتفصيلا وأن كلمة «تطوير» قوانين الأحوال الشخصية التى لهج البعض بترديدها ليست غير احتيال منكور للانسلاخ من أحكام الإسلام التى نطقت بها النصوص، وانعقد على تفسيرها الإجماع.

فالزواج بالواحدة إلى الأربع مباح يقيناً لمن يستطيع العدل.

والطلاق من الرجل لا يمكن لأحد أن يسلبه إياه.

وللمرأة نصف نصيب الرجل فى الميراث.

والرجل هو رب البيت والقوام عليه والراعى الأكبر لأولاده.

وما يطلبه النساء اليوم من تغيير لهذه المبادىء الإسلامية ضرب من الغرور يجب أن يقمع دون هوادة.

ويرى عند التأمل فى أحوال المجتمع المصرى أن اللوم حول انهيار الأسرة المصرية بسبب إباحة التعدد والطلاق مكذوبة من أساسها.

وأن الأسرة المصرية أشرف سيرة وأنقى جواً من الأسرة الأوربية والأمريكية وأنه - إذا كان هناك ما يعكر صفو الأسرة - فهو سلوك المنحلين الذين أطرحوا تعاليم الدين ظهريا ويريدون إغراء غيرهم بالمروق منها والتمرد عليها.

أما الأمة فهى تود لو عاشت ظاهراً وباطناً فى حدود دينها العظيم.

لقد سمعنا كلاما كثيراً حول إساءة الناس لحق التعدد، ولإباحة الطلاق..

ولا نرد على هذا الكلام بأكثر من ذكر الإحصاءات الرسمية التى تنطق بعكس ما يدعيه هؤلاء... وإلى القراء الكرام الجدول المثبت فى صفحة ٣٠ من الكتاب الذى أصدرته مصلحة الإحصاء والتعداد ١٩٦٠ — ١٩٦١.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جدول ١٧ – عقود الزواج وإشهادات الطلاق
ونسبتها لكل ألف من السكان

السنوات	عقود الزواج		إشهادات الطلاق	
	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪
١٩٤٥	٢٧٥٦٨٦	١٤٫٩	٧٩٩٩١	٤٫٣
١٩٤٦	٢٨٧٩٢٩	١٥٫٣	٨٠٤١٥	٤٫٣
١٩٤٧	٢٦٠٥٨٦	١٣٫٧	٧٥٤٠٤	٤٫٠
١٩٤٨	٢٧٢١٢٨	١٤٫٠	٧٦١٥٤	٣٫٩
١٩٤٩	٢٨٠٤٦٣	١٤٫١	٧٣٨٢٧	٣٫٧
١٩٥٠	٢٧٢٧٩٥	١٣٫٤	٧٤٨٨١	٣٫٧
١٩٥١	٢٥٢٠٢٦	١٢٫١	٧٥٢٧٧	٣٫٦
١٩٥٢	٢٣١٨٤٦	١٠٫٨	٦٩٥٣٨	٣٫٢
١٩٥٣	٢١٦٢٦٨	٩٫٨	٦٢٢٩٦	٢٫٨
١٩٥٤	٢١٩٠٠٦	٩٫٧	٥٩٥٨٠	٢٫٦
١٩٥٥	٢٢٦٣٦٤	٩٫٨	٦٠٣٣١	٢٫٦
١٩٥٦	٢٢٢٠١١	٩٫٤	٥٧١٨٧	٢٫٤
١٩٥٧	٢٤١٤٣٦	١٠٫٠	٥٩٩٤٨	٢٫٥
١٩٥٨	٢٢٨٠١٨	٩٫٢	٦٠٠٤٤	٢٫٤

من هذه الأرقام يتضح لكل ذى بصيرة :

أولا : أن عدد عقود الزواج فى تناقص مستمر برغم أن الزيادة فى عدد السكان مطردة . لقد زاد عدد السكان خلال هذه السنوات الأربع عشرة نحو ثمانية ملايين من السكان . وكان ينبغى أن يصل عدد عقود الزواج إلى أربعمائة ألف ... لا أن يهبط العدد إلى مائتى ألف . فالأزمة المخوفة هى قلة الزواج لا كثرته كما يرجف النساء وأشياعهن من الرجال المخدوعين ...

ثانياً : إن إشهادات الطلاق التي تمت سنة ١٩٥٨ وعددها ستون ألفاً يجب أن تذكر الحقائق الآتية ، أنها تشمل الطلاق قبل الدخول ، وبعده ، والطلاق الرجعي والبائن ، والطلاق بالتراضي أو بحكم القاضي ، وأن التصفية النهائية لهذه الأحوال المتباينة تظهر في الجدول المثبت صفحة ١٣ من الكتاب الرسمي السابق لمصلحة الإحصاء والتعداد .

جدول ٥ ــ تعداد السكان حسب الحالة الزوجية والنسبة المئوية لكل حالة إلى الجملة

(الأرقام بالألف)

الحالة الزوجية	١٩٤٧				١٩٣٧				١٩٢٧			
	ذكور	النسبة ٪	إناث	النسبة ٪	ذكور	النسبة ٪	إناث	النسبة ٪	ذكور	النسبة ٪	إناث	النسبة ٪
لم يتزوج أبدا	١٢٠٢	٢٣	٦٦٢	١١	١٠٢٨	٢٤	٤٩٧	١١	٨٩٨	٢٣	٣٦١	٩
متزوج	٣٦٢٨	٧١	٣٧٦٦	٦٥	٣٠٩٧	٧٢	٣١٨٠	٦٧	٢٧٧٧	٧٢	٢٨٩٦	٦٨
مطلق	٦٩	١	١٢٧	٢	٦٠	١	٩٧	٢	٦٦	٢	١٢٠	٣
أرمل	١٣٨	٣	١١٣١	٢٠	١٢٩	٣	٩٣٢	٢٠	١٠٥	٣	٨٧٠	٢٠
غير مبين	٨٨	٢	٩٧	٢	١٠	—	٧	—	١٢	—	٩	—
الجملة	٥١٢٥	١٠٠	٥٧٨٣	١٠٠	٤٣٢٤	١٠٠	٤٧١٣	١٠٠	٣٨٥٨	١٠٠	٤٢٥٦	١٠٠

(١) لا يشمل الذكور دون الثامنة عشرة ، والإناث دون السادسة عشرة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من هذه الأرقام يتبين أن نسبة المطلقين الذين تخلوا عن تكوين الأسر نهائيا إلى مجموع المتزوجين أرباب الأسر هى ١ : ٧٢ .

فهل هذا هو الباعث على الصراخ والعويل من فوضى الأحكام الإسلامية كما يفترى هؤلاء الكاذبون على دين الله ودنيا الناس .

إن لغة الأرقام تكشف عن الفراغ الهائل فى منطق المتهجمين على « قوانين الأحوال الشخصية » كما يسمونها .

وتبين أن هناك بواعث أخرى كامنة فى النفوس هى سر اللغط الذى يتجدد بين الحين والحين ضد تعاليم الإسلام فى هذا المجال .

ولقد ألقيت نظرة على بعض التفاصيل فى إشهادات الطلاق فوجدت أن ثلاثة أرباع المطلقين لا أولاد لهم البتة . لأنهم إذا طلقوا قبل الدخول أو بعده والزوجة عقيم . أو لما تلد .

وقلت للمسئول فى وزارة الشئون إن هذا الإحصاء قاطع بفساد الادعاء أن الطلاق سبب الأسباب فى تشرد الطفولة ...

فقال : لا تنس أن الربع الباقى فى حالات الطلاق يخلف وراءه ثلاثين ألف ولد .

فقلت : هل المطلقون الذين لهم أولاد صعاليك جميعا . ففيم إذن قضايا النفقة والحضانة التى تشغل المحاكم .

إن الطلاق أبغض الحلال إلى الله ، وما نريد أن يلجأ إليه أحد إلا عند اليأس من صلاح ذات البين .

لكن القول بأن الطلاق سبب أول أو ثان أو ثالث لتشرد الأطفال فى مجتمعنا جرأة مستنكرة وتخبط شائن .

ونعاود السؤال : إذا كان عدد الذين يتزوجون أكثر من واحدة قرابة ٢ ٪ وعدد الذين يطلقون يهبط بعد التصفية التى كشف عنها الإحصاء إلى مثل هذه النسبة ففيم عويل النساء ؟ .

وفيم فزع بعض الكتبة الذين طالت ألسنتهم فى الإسلام وتعاليمه ؟ .

ثم لماذا لم نسمع لهؤلاء صوتا يضيق بإباحة الزنا فى الظروف التى حددها القانون ؟ .

إن الجؤار هناك والصمت هنا دلالة ضمير خائن ونصيحة مغشوشة ومن ثم فنحن نلفت الأنظار إلى ما ينطوى عليه هذا التناقض الغريب .

قال لى بعض المتحمسين لتقييد الطلاق : إن سهولة الطلاق فى الإسلام يسرت لمن يبغضون زوجاتهم من النصارى أن يتركوا دينهم ويدخلوا فى الإسلام حتى يتخلصوا بالطلاق من الزوجات اللاتى يكرهون .

قلت كأن التشريع المقترح محاولة لمنع هؤلاء الفارين من اللجوء إلينا ! .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لو أن هناك عقلاء راشداً لاتخذنا هذا المسلك دليلا على أن سلب الرجل حق الطلاق مزلقة لسلبه دينه .

إن عشرات الأمم المسيحية احترمت الواقع وأباحت للرجل الطلاق بعيداً عن التعاليم المتوارثة بين كهنة الكنيسة فكيف نفكر نحن أن نضع أيدى المسلمين فى الأغلال التى طرحها غيرهم ؟ .

وماذا يقع لو قيدنا الطلاق كما يقترح هؤلاء القاصرون ؟ .

أما يترك نفر من المسلمين دينهم فراراً من الزوجة التى لا يطيقون ؟ .

وبذلك تكون أولى بركات القانون المراد منه أن نسوق غير المسلمين من الإسلام ، وأن ندفع بعض المسلمين إلى الارتداد حين يعجزون عن ترك زوجاتهم وذلك كله تحت عنوان إرضاء المرأة أو حماية الأسرة !!! .

إن هذا التشريع - لو صدر - فسيكون ذريعة إلى مفاسد هائلة ، وجرائم فاتكة .

وإنا لموقنون أن أولى الأمر لن يخدعوا بهذا الضجيج المصطنع مهما تتابع الصياح واستطال الإلحاح .

بل أن أملنا يتجاوز التزام تعاليم الإسلام بشأن الأسرة إلى إشاعة تعاليم الإسلام فى أرجاء المجتمع كله فتتناول صنوف المعاملات ، وتنفخ روح الشرف والحق فى قوانين العقوبات وسائر التصرفات .

ويومئذ تكون بلادنا قد نجحت فى صد الاستعمار الثقافى وعادت سيرتها الأولى تضيء الطريق للحائرين .

محمد الغزالى

رجل الدهر

إنى مخبركم عن صاحب لى ملأت لى منه يدى ، وطويت على حبه نفسى ، وجعلته منى بين صبحى . فقد كان بصيراً بورد الأمور وصدرها ، ويعرف من مطلع كل أمر ما يكون مقطعه ، وتقوم أدنى فراسة منه مقام البينة ، ويصيب بالظن ما يخطىء غيره بالعيان .

كان أكتم ما يكون للسر إذا باحت الألسنة من الأسرار بحصونها ، وانفرجت صدور الثقات عن مكنونها ، كان أبيا لو خطبت له إمارة على أن يكون مهرها ذل ساعة ، لآثر أن يزف إلى قبره على أن تزف إليه الإمارة . كان صلب العود على النوب ، إذا رماه الدهر بخطب يبلوه ، بلى منه الخطب بالنفس المرة والخلق الوعر ، والصدر الذى تضل فى ساحة صبره كل نائبه .

صادق عنبر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى أى مدى تتغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الباسط

— ٦ —

المصالح المرسلة :

انتهيت فى المقال السابق إلى تعريف المصالح المرسلة ، والفرق بينها وبين المصالح الملغاة كما بينت آراء العلماء فى جواز الاحتجاج بها ووجهة نظر كل منهم والذى نبحثه اليوم هو الإجابة عن هذا السؤال ، هل المصالح المرسلة دليل مستقل ، ويتبع هذا بيان المدى الذى نعتمد فيه على المصالح المرسلة فى التشريع والفتوى .

* * *

وقبل الإجابة على هذا السؤال يحسن أن نعيد النظر فيما ساقه العلماء من أدلة تبين وجهة نظرهم فى جواز الاحتجاج بها ؛ وإذا نحن تجردنا عن الهوى وقارنا بين الآراء المختلفة ونظرنا فى أدلتهم وجدنا أن المانعين أخذوا بالأحوط فى أمر التشريع وابتعدوا جهد الطاقة عن فتح باب التشهى فى الأحكام ؛ وقالوا : إن الشريعة بأصولها العامة ونصوصها المرنة فيها غنية عن فتح هذا الباب الذى لا يدرى أحد إلى أية نهاية ينتهى بنا ، ولا سيما فى هذا العصر الذى لا يأمن فيه ذو دين على دينه والذى كثر فيه أدعياء الاجتهاد الأخرق والمفتون الماجنون والمتاجرون بالدين إما رغبة أو رهبة .

وأما الذين أجازوا الاجتهاد فى التشريع والفتنا على المصالح المرسلة فوجهة نظرهم تتلخص فى أن عدم الاعتداد بها جمود قد يحمل الناس على النفور من الشريعة جملة وتفصيلا ، وفى هذا من الضرر ما يربو على الضرر الذى ساقه المانعون .

والذى تطمئن إليه نفسى أن فى كلا القولين مغالاة ، وأنه فى الإمكان أن نجتمع على كلمة سواء ؛ وذلك لأن من دقق النظر فيما نقل عن السلف من مسائل ردها بعض العلماء إلى القول برعاية المصالح نجد أن الشارع اعتبر تلك المصلحة بأى وجه من وجوه الاعتبار التى تحدثت عنها تفصيلا فى المقال الرابع وإجمالا فى المقال الخامس ؛ ولذا يبدو لى أن المصالح ليست منقسمة إلى ثلاثة أقسام معتبرة وملغاة ومرسلة بل هى منقسمة إلى قسمين :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

معتبرة وملغاة ؛ وإن المصالح المسماة بالمصالح المرسلة لابد وأن يكون لها شاهد من الشرع ولو فى الجملة كأن يرتب الشارع حكما على مصلحة من جنس هذه المصلحة إلى غير ذلك من وجوه الاعتبار ، وأما القول بأن هذه المصالح ليس لهـــا شاهد أصلا من الشرع بالاعتبار أو الإلغاء فهذا ما ينقضه الواقع ؛ ولنتتبع المسائل التى نسبت إلى الصحابة والتابعين وقيل إنها مردودة إلى المصالح المرسلة لنرى أهى ـ حقا ـ لا شاهد لها من الشرع .

١ ـــ جمع الصديق رضى الله عنه الصحف التى كان مدونا بها القرآن الكريم ، وهذا الأمر أبعد ما يكون عن المصالح المرسلة ؛ فهذا يرجع إلى أصل ثابت بالنص من الكتاب والسنة أليس من أصول الدين المحافظة على الكتاب بأية وسيلة من الوسائل « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » [1] « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشـــتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون » [2] ، وهذه الآية وإن كانت فيمن سبقنا من الأمم ولكن فيها تحذير لنا من الكتمان وعدم الإبلاغ ؛ والآيات فى هذا المقام كثيرة كلها تحض على عدم تحريف كلام الله ووجوب إبلاغه والمحافظة عليه ، ولما كان جمع الصحف خشية الضياع هو الوسيلة إلى ذلك لذا رأى الخليفة الأول رضى الله عنه وجوبه فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ؛ وإذا كان رضى الله عنه تردد فى ذلك فهو تردد المؤمن المتخوف حتى إذا استبان له وجـــه الحق أقدم إقدام المؤمن المتثبت ؛ وهذا هو خلق المؤمن لا يقدم على الأمر متهورا ولكنه يقدم عليه متثبتا .

٢ ـــ استخلافه رضى الله عنه لعمر رضى الله عنه .

وهذا ـ أيضا ـ يرجع إلى أصل ثابت بالنص وهو اتقاء الفتنة : « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » [1] ، والظرف الذى استخلفه فيه كانت الدولة الإسلامية الناشئة تحارب أكبر دولتين عرفهما التاريخ القديم وهما فارس والروم ؛ فهل يترك الأمر ليفتح باب الفتنة فى أخطر مراحل التاريخ على أن الخلافة فى نهاية الأمر مردها إلى البيعة ؛ ولم يكن هـــذا الاستخلاف من أبى بكر إلا نصحا للأمة باختيار من يرى أنه قادر على حمل هذا العبء

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٧ .

(١) سورة الأنفال الآية ٢٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى هذا الوقت ؛ ولو كان فى هذا الاستخلاف شهوة لنفسه لكان له فى ولده أو أهل بيته وقرابته من يكل إليهم هذا الأمر الخطير ؛ ولقد كان الخير لهذه الأمة ما أقدم عليه أبو بكر فتاريخ عمر مفخرة لكل مسلم بل هو مفخرة للإنسانية كلها .

٣ — حرب أبى بكر رضى الله عنه لمانعى الزكاة ؛ وماذا فى ذلك من مصلحة مرسلة ؟ !! أليست الزكاة ركناً من أركان الإسلام وعلى ولى الأمر أن يراقب الأمة فى تنفيذ حكم الله ، وإلا فما هى وظيفته ، أهى أبهة الحكم ومظاهر السلطان ، ثم ألم يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجبى الزكاة من المسلمين « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » (١) .

٤ — إمضاء عمر رضى الله عنه الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثا وقد كان واحدة .

وهذه المسألة — أيضا — لها شاهد من الشرع ؛ فقد أسند عبد الرازق عن عبادة ابن الصامت إن أباه طلق زوجته ألف تطليقة فانطلق عبادة فسأل النبى صلى الله عليه وسلم : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « بانت بثلاث فى معصية الله تعالى ؛ وبقى تسعمائة وسبع وتسعون عدوانا وظلما إن شاء عذبه بها وإن شاء غفر له » .

وفى بعض الروايات من حديث طلاق ابن عمر لامرأته فى الحيض أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله « أرأيت لو طلقتها ثلاثا أكان يحل لى أن أراجعها فقال : لا كانت تبين منك وكانت معصية » .

فأنت ترى أن ما أخذ به عمر فى أمر الطلاق الثلاث له أصل عن صاحب الشرع ؛ ولعل كثرة التطليق بالثلاث بلفظ واحد فى عهده جعله يلتمس دليلا فيه شىء من التشديد والتأديب حتى وجده ؛ وصحة خبر عند أحد المجتهدين وعدم صحته عند غيره أمر كثير الوقوع ؛ على أن قوله تعالى : « الطلاق مرتان » (١) ، يحتمل من وجه بعيد أن الطلقتين مجتمعتان أو متفرقتان ؛ وعمر رضى الله عنه أخذ بهذا الاحتمال نظراً لما رآه من المصلحة ؛ ولا سيما بعد أن سقط الحديثين المتقدمين ؛ ولهذا رأينا من جاء بعده من الخلفاء أخذوا رأيه ؛ وذلك لما رأوه من أدلة تشهد له عن صاحب الشرع .

وهذا الذى قررناه يؤكد ما سبق أن قررته فى أوائل هذا البحث أنه يجوز الأخذ بالرأى المرجوح — إن لم يكن ساقطا — إذا كان الأخذ به

(١) سورة التوبة الآية ١٠٢ .

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يحقق مصلحة راجحة أو يدفع ضرراً أعظم .

٥ — منعه رضى الله عنه المؤلفة قلوبهم من أخذ الزكاة

وهذا - أيضا - ليس من قبيل المصالح المرسلة بل هو أعمال للنص ؛ وذلك لأن الذين حرمهم من سهمهم فى الزكاة وهم : الزبرقان بن بدر ، والأقرع بن حابس وجماعتهما لم يكونوا يستحقون الزكاة بذواتهم وإنما استحقوها بصفتهم من المؤلفة قلوبهم ومن المعروف عند من له خبرة بأصول الفقه أنه تعليق الحكم بمشتق يؤذن بعلية المصدر ؛ وهو - هنا - التأليف ؛ وهؤلاء قوم أسلموا من عهد رسول الله وأعطاهم الرسول صلوات الله وسلامه من سهم المؤلفة قلوبهم لحاجة الدولة إلى التأليف وحاجتهم هم إلى التثبيت ؛ وحينما منعهم عمر كانت الدولة الإسلامية تضرب كسرى على أم رأسه كما تضرب قيصر على قفاه ، فهل هى فى حاجة إلى تأليف أمثال الزبرقان والأقرع ولا سيما وقد مضى على دخولهم الإسلام مدة كافية يتذوقون فيها الإيمان من غير أن يكون لهم حافز من مال ؛ ولو أن عمر رضى الله عنه وجد فى عهده داع إلى التأليف لكان أول من يعطيهم من مال الزكاة ؛ فمنع المؤلفة قلوبهم لم يكن استصلاحا وإنما كان تطبيقا دقيقاً للنص الشرعى .

٦ — وضع الخراج على الأرض المفتوحة وعدم توزيعها على الغزاة الفاتحين .

وقد أغنانا رضى الله عنه مؤونة الرد على من يقول : إنه فعل ذلك تشهيا أو استصلاحا فقد استدل على وجهة نظره بآيات سورة الحشر التى وردت فى أمر الفئ من الآية السابعة إلى الآية العاشرة وفيها « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » وفى الآية العاشرة « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان » ولهذا كان يقول لمن عارضه : وماذا نترك للذرارى ... ؟ إلى أن واجههم بآيات سورة الحشر فنزلوا على رأيه نزولا الله لا على حكم عمر .

٧ — تدوين الدواوين وإنشاء السجون .

وهذا أيضا له شاهد من الشرع فإن حفظ مال الأمة وإعداد القوة من مقاصد الشريعة وتدوين الدواوين وسيلة إلى حفظ الأموال ومعرفة القادرين على الجهاد ، وكما قلنا : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ؛ وإنشاء السجون نفى من الأرض ؛ وقد شهد الشارع لهذا المبدأ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فقد قال تعالى فى شأن الساعين فى الأرض بالفساد : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض »[1] .

٨ — نفيه نصر بن حجاج ولم يكن قد ارتكب جريمة .

وهذا ـ أيضا ـ يرجع إلى أصل شرعى وهو اتقاء الفتنة ، ولم يكن نفيه عقوبة له وإنما خشية افتتان النساء به ، ولا سيما أن كثرة من الرجال المقيمين بالمدينة كانوا غائبين فى الغزوات ؛ ولا شك أنه كفل له أسباب الراحة ؛ وهذا إجراء وقائى يقره الإسلام فإن الوقاية خير من العلاج .

٩ — تعطيل حد السرقة عام الرمادة .

وهذا ـ أيضا ـ له شاهد من الشرع ؛ فإن المجاعة شبهة قوية كافية لإسقاط حد السرقة تحقيقا لقوله صلى الله عليه وسلم « ادرءوا الحدود بالشبهات » .

١٠ — جمع عثمان بن عفان رضى الله للصحف وكتابته وأمره بحرق ما سواه .

وما قلناه فى جمع أبى بكر للصحف يقال هنا والأمر بإحراق ما عدا مصحف عثمان ـــد باب الفتنة وهو أصل مشروع ؛ والاحتياط الذى اتخذه عثمان عند كتابة المصحف كفيل فى صيانة الكتاب العزيز من التحريف .

١١ — توريثه زوجة الفار وهو الذى طلق زوجته فى مرض موته حتى لا ترثه .

وهذا الحكم له شاهد من الشرع بطريق القياس على حرمان القاتل من ميراث المقتول لأنه استعجل أمرا قبل أوانه . فنأخذ من ذلك أن من مبادئ الشريعة أن سيء القصد ـ متى قامت الدلائل على سوء قصده ـ يعامل بغير قصده .

١٢ — تحريق على كرم الله وجهه لغلاة الرافضة الذين ادعوا ألوهيته فلقبح جريمتهم وله أصل شاهد له من الشرع وهو تسميل عيون العرنيين الذين قابلوا إحسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بقتل رعاة إبل الصدقة واستياقها ، على أن جريمة غلاة الرافضة أفحش ، ولقد لجأ رضى الله عنه إلى ذلك زيادة منه فى التبرؤ من دعواهم الكاذبة .

١٣ — تحريق الصحابة لمن ارتكبوا جريمة قوم لوط عليه السلام .

إن الذى يرجع إلى آراء الصحابة فى هذه المسألة يجدهم حريصين على الاستناد إلى نص شرعى فى هذه المسألة فقد اختلف رأيهم فى قتلى المجرمين نظرا لأنه لم يرد نص صريح فى تحديد

(١) المائدة ٣٣

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عقوبة لهم ، لأن هذه الجريمة الشنعاء لم تكن معروفة فى البيئة العربية حين كان ينزل القرآن ، فلما اختلط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى سرت العدوى إلى المجتمع الإسلامى واختلفوا فى تحديد العقوبة التى تنزل بهم فمن قائل يعاقبون بحد الزنا الجلد إن لم يكن محصنا والرجم إن كان محصنا ، لأنه انتهاك حرمة فرج آدمى محرم ، ومن قائل أنه يرمى من شاهق جبل لأن الله عاقب قوم لوط بأن قلب ديارهم فجعل عاليها سافلها « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها(١) » « فأخذتهم الصيحة مشرقين ، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل(٢) » .

ومن قائل بالتحريق لأن الله حرق قرى قوم لوط ، ففى سورة هود « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد (٣) ، وفى قوله تعالى « وما هى من الظالمين ببعيد إشارة إلى أن التحريق جزاء من ارتكب مثل جريمتهم .

فأنت ترى أن ما فعله الصحابة مع هؤلاء كان له شاهد من الشرع .

١٤ — وضع النقط وعلامات الإعراب فى المصحف فى عهد التابعين .

يرجع هذا إلى أصل شرعى وهو المحافظة على الكتاب من التحريف والتبديل وهو من أوائل مقاصد الشريعة ، ومقدمة الواجب والوسيلة إليه واجبة كما قررناه أكثر من مرة .

١٥ — تدوين الحديث وفتاوى الصحابة فى عهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

هذا — أيضا — يرجع إلى حفظ الشريعة وفيه امتثال لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه « نضر الله وجه امرئ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها » .

ولما زال المانع من التدوين وهو خشية اختلاط القرآن بالسنة بعد أن انتشر الحفاظ فى بقاع الأرض وكثرت المصاحف وأمن من اللبس كان من الواجب أن تدون السنة خشية اندراسها ، وحفظ الدين من مقاصد التشريع الأولى كما قلت آنفا .

بعد هذا يمكن أن أقرر مطمئنا أن ما يسمى بالمصلحة المرسلة لا بد وأن يكون لها شاهد باعتبار الشارع بأى نوع من وجوه الاعتبار ، وليس من الواجب أن نعتبرها بذاتها بل يكفى أن يعتبر نوعها أو جنسها ؛ ومن هنا أستطيع أن أجزم أن المصلحة المرسلة

---

(١) هود ٨٢ .
(٢) الحجر ٧٣ ، ٧٤
(٣) هود ٨٢ ، ٨٣

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ليست دليلا مستقلا ؛ بل هى ترجع إما إلى الكتاب والسنة أو الإجماع أو القياس مع التوسع فى تطبيقه .

هذا ومن اعتبر المصلحة دليلا مستقلا أجاز أن يخصص بها عمومات الكتاب والسنة من باب أولى ؛ وذلك لأن دلالة العام ظنية - عند الجمهور سوى الحنفية - والمصلحة ظنية والظنى يخصص الظنى .

* * *

وبعد فإن باب الاستصلاح فى الشريعة خطير جدا ، وعندى أنه - صيانة للشريعة من عبث العابثين وتبرئة لها من الجمود - لابد عند عرض مثل هذه الأحوال للفتيا أو للتقنين أن يعرض الأمر على جماعة عرفوا بالعدالة أولا وبالتعمق فى فهم الشريعة ثانيا مع قوم متخصصين فى دراسة حقائق هذه المسائل لمعرفة ما فيها من مضار ومنافع وأن تعقد مقارنة وموازنة صادقة بين الضرر والنفع ، فإذا اطمأنوا إلى أن ناحية النفع أرجح من ناحية الضرر يجىء دور رجال الفقه الإسلامى للنظر فى هذه المصلحة من ناحية اعتبار الشارع لها ؛ فإن كانت مصلحة ملغاة صرف النظر عنها مهما كان فيها من نفع ، فالله أعلم بمصالح عباده من أنفسهم ، فإذا لم تكن ملغاة ، نظروا ثانية : هل لها شاهد من الشرع بأى وجه من وجوه الاعتبار ، فإن وجد هذا الشاهد ولو بعيداً أخذنا به ؛ وإلا رجعنا إلى قواعد الشريعة العامة وكالأصل فى الأشياء الإباحة ؛ « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » إلى غير ذلك من القواعد الفقهية المستنبطة من تتبع أحكام الله للعباد .

ثم إن دعوى تطوير الأحكام الشرعية اتباعا للأهواء والأغراض خروج على الدين لا يقره مسلم مهما أبسناه من زخارف القول وصدق الله العظيم إذ يقول : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » (١) ؟

بدر المتولى عبد الباسط

(١) سورة المائدة الآية ٤٩ ، ٥٠

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القدرة اللغوية عند أبي العلاء

للأستاذ كامل السيد شاهين

---

١ ـ حدث صاحب الأمالي عن أبي بكر ابن أبي حاتم عن الأصمعي ، أن خلفاً الأحمر قال يوماً لأصحابه : ما تقولون في بيت النمر بن تولب :

أم بصحبتي وهم هجـــود
خيال طارق من أم حصن

لو كان موضع (أم حصن) ، أم حفص ، كيف كان يكون قوله :

لها ما تشتهي ، عسل مصفى
إذا شاءت ، وحواري بسمن

قالوا : لا نعلم ، فقال : وحواري بلمص[1] انتهى .

ووقف أبو العلاء على هذا الخبر ، وكأنه استشعر أن في سؤال خلف ، وعجز أصحابه ، وإفادته إياهم بالقافية المناسبة ، إدلالاً من خلف بالمعرفة . . فأبى عليه شيطان اللغة إلا أن يعبث بخلف وعلمه ، فأدار حرف الروى في البيت الأول على سائر حروف المعجم ، واستطاع أن يلائم بين البيت الثاني والبيت الأول في حرف الروى .

قال أبو العلاء بعد أن ساق حكاية خلف وأصحابه :

« ويفرع على هذه الحكاية فيقال : لو كان مكان أم حصن ، أم جزء ، وآخره همزة ، ما كان يقال في القافية الثانية ؟ فإنه يحتمل أن يقول : وحواري بكشء ، من قولهم : كشأت اللحم إذا شويته حتى ييبس ، ولو قال : وحواري بنسء ، لجاز ، وأحسن ما يتأول فيه أن يكون من نسأ الله في أجله أي لها خبز مع طول حياة ، وهذا أحسن من أن يحمل على أن النسء : اللبن الكثير الماء ، وقد قيل إن النسء الخمر ، وفسروا بيت عروة بن الورد على الوجهين :

سقوني النسء ثم تكنفوني
عداة الله من كذب وزور

---

(١) أمالي القالي ، ج ١ ص ١٥٧ ، والحواري : الدقيق الأبيض ، والخبز ، واللمص : القالوذ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولو حمل حوارى بفسه على اللبن أو الخمر لجاز ، لأن الحوارى تؤكل بذلك ، أى لها الحوارى مع الخمر ، وقد حدث محدث أنه رأى « بسيل » ملك الروم ، وهو يغمس خبزا فى خمر ويصيب منه » .

ثم يمضى أبو العلاء فيغير الروى إلى حرف الباء ، فيجعلها : أم حرب ، ويجىء البيت الثانى : وحوارى بصرب ، أو بإرب ، أو بكشب [1] .

ثم يغيره إلى أم صمت ، وأم شث ، وأم لج وأم شح ، وأم دخ ، وأم سعد ، وأم وقذ ، وأم عمرو ، وأم كرز ، حتى يصل إلى أواخر الحروف ، فيأتيك بأم دو ، وأم كره ، وأم شرى .

أفلست ترى أبا العلاء بهذا يتحدى خلفا ، ويزعم له أنه أعرف منه باللغة ، وأنه إذا كان خلف يستطيع أن يغير الروى فى صورة فأبو العلاء قادر على أن يغيره فى خمس وعشرين .. وأنه فى كل صورة منها لا يكتفى بوجه واحد بل يزيدك على الوجه وجهين أو أكثر .

ثم إن لنا أن نسأل : ما الذى أغرى أبا العلاء بهذه المعاياة ؟ ، أو ليس ذلك لأنه يعرف من نفسه قدرة لغوية خاصة لم تتح لكثير من مشهورى الرواة وعلماء اللغة ؟ . ومهما يكن من شىء فمعرفة أبى العلاء باللغة يمكننا أن نستبينها فى رسالة الغفران ، وفى الفصول والغايات .. ويظهر أن هذه القدرة تهيأت له فى صدر شبابه ، لأن فى قصائده السقطيات ما يدلك دلالة واضحة على استبحار الشاعر وتمكنه .

٢ — وليست معرفة أبى العلاء باللغة معرفة قاموسية ، بل هى إلى ذلك معرفة شعور وإحساس وخبرة بأجواء الألفاظ وفوحها والقـ ـارىء لقصيدته [2] التى مطلعها :

مكة أقوت من بنى الدوديس
فما لجنى بها من حسيس

وفيها يذكر الجنى (خيتعور) الملقب بـ (أبى هدرش) ما آل إليه أمر مكة بعد نزول القرآن ، وظهور النبى عليه الصلاة والسلام ، من بعد ما كانت مسرحا للجنان الذين يصفهم بأنهم :

بيض ، بهاليل ، ثقال ، بعا
ليل ، كرام ، ينطقون الحسيس

---

(١) الصرب بالصاد للهملة : اللبن الحامض ، والإرب : العضو من الشواء أو القديد ، والكشب : أكل الشواء .

(٢) هى قصيدة نظمها أبو العلاء على لسان الجنى وفيها ضروب من الغواية التى يرتكبها الشياطين لأبناء آدم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يرى كيف اختار قافيتها (حينا) ، لما فيها من الصفير ، ولأن لفظها من جوهر الغنة[1] ولأنها تناسب ما فى حديث الشيطان من الوسوسة والخفاء الذى يورث الرهبة والمخافة ثم جاء بها ساكنة ليكون ذلك أمد فى لفظها وأجرى للنفس بها ، وأظهر للصفير فيها .

ثم أشاعها فى القصيدة كلها حتى تحس كأن الجو كله من حولك جو شيطانى خفى هامس غامض مريب .

وفى تسمية الجنى (خيتعورا) ، وتلقيبه (أبا هدرش) ، وجعل بنى الجن (بنى الدردبيس) إشعار بأن لدى أبى العلاء إحساساً لغويا يهيء له وضع ألفاظ مناسبة لما بين يديه .

على أن المعانى التى تناولها أبو العلاء فى هذه القصيدة من الشيطان بسبب قوى ، فهو يصف : كيف كان يغار على العروس فيتخلجها براثن الصرعة ، قبل أن تزف ، وكيف كان يزين للشاب وللشيخ أن يفرغ كيسا فى الحنا بعد كيس ، وكيف كان يخرج الحسناء مطرودة من بيتها بلا سبب إلا سوء الظن ، ويغرى زوجها بأن يبعث طلاقها ، حتى إذا صارت إلى غيره هاجت نفسه إليها :

نذكره منها وقد زوجت
ثغرا كدر فى مدام غريس

ويتحدث عن الراهب المتبتل كيف يخدعه عن نصحه بعدما ملأ السمك ، قال :

ونخدع القسيس عن نصحه
من بعد ما ملىء بالأنقليس
أصبح مشتاقا إلى لذة
معللا بالصرف أو بالخفيس
أقسم لا يشرب إلا دوين
سن السكر ، والبازل تالى السديس
قلنا له ازدد قدحا واحداً
ما أنت أن تزداده بالوكيس
فعب فيها ، فوهى لبه
وصد من آل العين الرجيس
حتى يفيض الفم منه على
نمرقتيه بالشراب القليس

فأبو هدرش يخدع هذا القسيس الراهب بعد ما صام نصحه طاهرا متنسكا ، معرضا عن اللحم الحرام إلى الأنقليس (الحوت) الحلال ، وأصبح فى شوق إلى الخمر صرفا أو ممزوجة ، ثم خدع نفسه فأقسم ألا ينال منها إلا دون السكر ، ولكن كلما هم بالكف أغراه الشيطان بالمزيد . قدح واحد ما أنت

(١) جمهرة ابن دريد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن تزدده بالخاسر ، حتى عب ، فغدا واهى اللب ، من آل الشيطان الرجيس !

شرب الفسيس حتى تحبب ، وكان عاقبة ذلك أن فاض فيه بالخمر القليس على نمرقيته فيالله من منظر مخجل ، ووارحمتا لبنى آدم المساكين من كيد الشياطين ! .

* * *

وكذلك يفعل أبو العلاء فى موضع آخر عندما يُشهدك امرأة عجوزا همة توصى ولدها الا يتزوج ، فإنها شاخت ويبس جنباها ، وأصبح شعرها أبيض قصيرا متفرقا كأنه الشغام ... وهى تخشى أن تهزأ منها زوجه الشابة بما فيها من طراءة الصبا ووفرة الشعر :

فخن إلى المكارم والمعالى
ولا تثقل مطاك بعبء حَنه
فإنى قد كبرتُ ، وما كعاب
ملاثمة عجوزا مقسئنة
ترى تنوهها وترى ثُغامى
فتهزأ من مُنهبلة مُصنة (١)

ثم تذكر شبابها الدابر ، وما كان عليه شعرها من وفرة وسواد .

فإن يبيض للحدثان فودى
فقد أغدو بفود كالدجنه
إذا ما السارحات نظرن فيه
عجبن لما سرحن وما دهنه

ثم تحذره من خداع الدلالات الدواهى اللاتى يقلن : فلانة بنة خير قوم
شفاء للعيون إذا شفنه

وأنها رزان رجاح مجدولة القد جعد الأعنة ... فأولئك يتجرن بالكذب .

أولئك ما أتين بنصح خل
ولا دن المليك ولا يدنه
ولو طاوعتهن لجنن يوما
بأخبث الغول ، والنصف الصفنة (١)

فالحديث حديث نساء عن نساء ، ولذلك التمس له أبو العلاء قافية تجمع النون المشددة والهاء الساكنة : قافية نسوية مخنثة وجاء بها على زنة الوافر ، والوافر يصلح للأداء الحماسى فى غضبا أم حماسا أم رقة وحنينا .

وعندما عرض للأوصاف القبيحة استعان عليها باللفظ المستفظع الذى يفيدك القبح بمخارجه من قبل أن يكشف عن معناه فهى مقسئنه ، وهى منهبلة . والدلالات يجئن بالنصف الصفنة : ويزيد على ذلك أنه

(١) المقسئنة : اليابسة . والمنهبلة : الضعيفة اللحى والثنوم : شجر عزيز الفروع سابغها .

(١) الصفنة : المسترخية المترهلة المستفيضة البطن.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يعطى نوعا من الطرافة والتفكه لا تعطيه الكلمات المكافئة لها فى المعنى :

بينما تجده إذ يعرض للأوصاف الحسنة يجىء بألفاظ حلوة مشوقة (رزان الحلم رجاح ، شفاء العيون ، جدلت كجدل الأهنة ، كعاب ، تنوم) .

واختيار الألفاظ ووضعها فى المواضع التى تشيع فيها الجو المناسب ، من أدق المعايير التى يوزن بها الشاعر القادر ، والشاعر العاجز .

وأبو العلاء دائما قادر على أن يخلط الجد بالهزل ، وروح الفكاهة لا يفارق هذا الضرير السوداوى المزاج .

فبينما تراه جاداً كل الجد ، إذ تراه يهتك هذا الجد بفكاهة تدفعك إلى ضحك يهز كيانك هزا : وهذا مالا تظفر به إلا عند أمثال الفرزدق من الفحول القروم . خذ مثلا لذلك قوله :

نار لها ضرمية كـــرمية
تأريثها إرث من الأسلاف
تسقيك والأرى الغريب ولو عدت
نهى الإله لثلثت بسلاف

وهنا نجد نارا متضرمة ، شبيت للقرى ، يؤرثها الأنباء بعد الآباء ، ونجد بعد الطعام سقيا ، من اللبن المخلوط ، والعسل المصفى ... ولولا نهى الإله لكانت السلاف ثالثتهما ثم يقول :

وإذا تضيفت النعام ضياءها
حمل العبيد لها مع الألطاف

ماذا ؟ إذا جاءت النعام على ضوء النار تبتغى القرى ، وجدت ضيافتها عبيدا أى حنظلا ، وألطافا أخرى ، من قطع الحديد والمرو ، يحملها الغلمان على الصحاف ، ويسعون بها بين يدى ضيوفهم من النعام ! .

ألا يذكرنا هـــذا بقوله فى الشريف الموسوى يذكر كرمه وهو فى قبره :

إن زاره الموتى كساهم فى البلى
أكفان أبلج مكرم الأضياف

ونظير ذلك قوله فى الحديث عن أمه :

لو لا رجاء لقائها لما تبعت
عنسى دليلا كسر الغمد إصليتا

وصف الدليل بأنه مشوق ضامر كالسيف المماضى .

ثم قال .

ولا صحبت ذئاب الإنس طاوية
تراقب الجدى فى الخضراء مسبوتا

جعل اللصوص ذئاب الإنس . ولما كانوا ذئابا فإنهم يطيعون الجداء وهؤلاء اللصوص الطاوون يترقبون جدى السماء وهو برج

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أبراجها ينتظرون نعاسه ليصيدوه ويأكلوه .

وربما يكون فى كلام الجنى السابق وفى حديث العجوز ما يعزز إدعاءنا فى مقدرة أبى العلاء على إشاعة الفكاهة .

٤ — والقدرة اللغوية مكنت أبا العلاء من الظفر بالتجنيس فى عفوية تارة ، وعلى استكراه تارة ، ولقد يعد أبو العلاء أحذق من تعاطى هذا النوع من المهارة اللفظية فى العربية .

وقد تعاطاه أبو تمام قبله ، ولكنه كان يقرح فيه جفنه ، فإذا ناله ناله وجبينه يتفصد عرقا !

وتعاطاه الصنى الحلى ، وابن نباته بعده ، ولكنهما كانا يرصدانه ويعدانه إعداد ، فأما أبو العلاء فكان إذا أراده صاده ، لوفرة محصوله ، وطواعية اللغة فى يديه .

* * *

والتجنيس فى ذاته قتب أشرس ، ذلك بأنه لا يحس حتى يكون موقع الكلمتين المتجانستين من العقل موقعا حميدا .

والمعانى لا تدين فى كل موضع لما يجتذبها التجنيس إليه ، إذ الألفاظ خدم المعانى والمصرفة فى حكمها ، ولن تجد حكما أعدل من أن ترسل المعانى على سجيتها ، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ التى تناسبها ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها [١] .

وأنت تجد لأبى العلاء الحلو المقبول الذى يزيد فى الترنم ويلذ فى الأفواه ، وتجد منه الوبيل المستوخم ، الذى خزم من أنفه ، ثم أنيخ على الصخر الأصم .

وتتبع الجناس عند أبى العلاء أمر يطول ولكنا نضرب أمثلة للحسن ، وأخرى للقبيح :

فأما الحسن فتجده فى مثل قوله فى حديثه عن الإبل :

أأبغى لها شرا ، ولم أر مثلها
سفائن ليل ، أو سفائر آل

وقوله فى شأن حنين الإبل :

لعل كراها قد أراها جذابها
ذوائب طلح بالعقيق وضال

وقوله فى شأن الحمام :

ترى كل خطباء الجناح كأنها
خطيب تنمى فى الفضيض من البنع
إذا وطئت عوداً برجل حسبتها
ثقيلة حجل ، تلمس العود ذا الشرع [٢]

وقوله فى شأن إحدى الأعرابيات :

ألفت الملا ، حتى تعلمت بالفلا
رنو الظبا ، أو صنعة الآل بالخدع

---

(١) أسرار البلاغة .

(٢) العود الأول : الغصن ، والثانى : عود الغناء الذى يضرب عليه والحجل : الخلخال .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأما الرذل المقيت ، فتجده فى مثل قوله :

وعمر هند كأن الله صـــوره

عمرو بن هند ، يسوم الناس تعنيتا

فالعمر الأول واحد العمور ، وهى خرزة حمراء كثيرة المساء تكون فى القرطة ، وعمرو بن هند أحد ملوك الحيرة ، كان لصرامته وشدة سطوته يلقب (بمضرط الحجارة) .

فماذا يشوق من أمر هذه الخرزة على العاشقين فيمنتهم إهتمام عمرو بن هند للناس؟!

وأشـــد منه عند الله والناس مقتا قوله فى المطايا :

مطا يامطايا وجدكن منازل

منى زل عنها ليس عنى بمقلع

مطا ، بمعنى مد ، يامطايا : نداء ومنادى ، ومنازل فاعل مطا ، أى مد وجدكن ربوع من ديار الحبيبة .

بمعنى قدر ، وزل عنها أى أخطأها ، يريد أن قدراً أخطأها فبقيت مائلة ، وأصابنى فبليت وما بقيت .

قال الخوارزمى : وقد أحسن فى التجنيس وأبدع ! . وعجبى لهذا الأديب الفاضل كيف يستحسن هذا النوع من التجنيس ، ورقى العقارب أكثر منه وضوحا ... على أن المعنى بعد ذلك بالغ غاية السقم .

ومن الجناس الرذل ما هو حسن فى ذاته ، ولكن عاد الموضوع عليه بالاستهجان ... كما ترى فى قول أبى العلاء يرثى :

خلو فؤادى بالمودة إخـلال

وإبلال جسمى فى طلابك إبلال

ولى حاجة عند المنية ، فتكها

بروحى ، والأهواء مذكن أهوال

فالجناس فى هـذا المقام خطيئة نكراء ، فإن الطـالب الجناس المتحرى له لابد أن يكون فارغ القلب بعيداً عن الانفعال ... فإن المنفـعل لا يمكن أن يغلب من انفعاله ليقسكع فى دروب المحسنات ، وبخاصة هذا النمط الصعب ...

وليت شعرى عن أبى جعفر المنصور ، إذ قال فى شأن أبى ذؤيب ، وقد استرسل من رثاء أولاده إلى وصف حمر الوحش ... قال أبو جعفر : (الآن سلا أبو ذؤيب) .

فماذا كان يقول لو سمع المعرى يبتدئ رثاءه لأمه بالخلو والإخـــلال والإبلاء والإبلال والأهواء والأهوال ؟

— • —

وإذ كان التزام ما لا يلزم ، من أبرز مظاهر القـدرة اللغـــوية ، وقد ذهب أبو العلاء فى هذا النوع بشهرة لا تنازع فقد أعرضنا عن الإطالة بشرحها فى هذا المجال ؟

فاضل السيد شاهين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإنسان المعاصر والقيم الروحية :

ما وراء المحسوس
في فلسفة الجمال ومذاهب الفن

للأستاذ فتحي عثمان

جولة استطلاع لآراء الفلاسفة ومذاهب الفن ، تومىء في جلاء إلى إشعاعات ما وراء المحسوس التي تومض من خلال الكلمات والتعريفات والتحليلات ، مهما اختلفت المنازع والمذاهب والأفكار !!

إن ديدرو مثلا Diderot (١٧١٣/١٧٨٤م) يرى أن الفن عملية فكرية حقا ، ولكنه لا يلبث أن يصرح في مواضع أنه : « لا بد من الحيا الفنية بما تستلزمه من رهف الإحساس وقوة العاطفة » والدكتور غنيمي هلال يفسر ذلك بأن ديدرو ربما كان يريد من الفنان أن يكون قوي الذوق والعاطفة في أثناء الإحساس والالتقاط ، لكنه عندما يمارس التعبير الفني يجب أن يغلب عقله وإدراكه في نقل التجربة وفي تصويرها ، إذ أن العاطفة المشبوبة كالإحساسات الحادة عليه خرساء لا تبين عن نفسها ، وقد يكون هذا نواة لرأي بندتو كروتشيه في ضرورة تمثيل العاطفة قبل محاولة التعبير الفني عنها .

وقد خاض ديدرو محاولات دقيقة للتمييز والتفرقة في مجالات المعاني والمعنويات ، لقد فرق بين الجمال واللذة ، فأقام معنى الجمال على إدراك العلاقات بين الأشياء والأجزاء ، أما ما يصل عن طريق حاستي الذوق والشم كالأطعمة والروائح فهو يوصف باللذة والطيب لا بالجمال ! كما فرق ديدرو بين الجمال والمنفعة فالإعجاب بالجمال ذاتي في مبدئه لا يعبأ بالمنفعة أفلا يحدث في كثير من الأحيان أن يهجر المرء الشيء النافع من أجل شيء جميل ؟ على أن ديدرو يرى أن الحق والخير والجمال بينها وشائج وثيقة وإذا أضيفت إلى الحق والخير بعض الصفات النادرة الوضاءة فسيصير الحق جميلا والخير جميلا ، وهو يعرف الذوق بأنه قوة مكتسبة بالتجارب المتكررة ، بها يتيسر فهم الحق أو الخير في حالة يصير بها كلاهما جميلا بحيث ينتج به التأثير السريع القوي ، بل إنه ليرى أن واجب كل فنان كريم هو تصوير الفضيلة محبوبة ، والرذيلة بغيضة !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وجاء كانت (١٧٢٤ / ١٨٠٤ م) Kant ففرق بين الحكم الجمالى والحكم العقلى أو الخلقى ... إن الحكم الجمالى يصدر عن الذوق والذوق يصدره عن رضا لاتدفع إليه منفعة فى حين أن اللذة الحسية تتطلب التملك والرضا الخلقى يتطلب تحقيق موضوعه ، إن الجمال هو الصورة الغائية لموضوعه ! .

وإذا كان الحكم تقريرا للحقيقة عن طريق التجربة ، أو برهنة نظرية على قضية علمية يسلم بها ضرورة ، أو مجرد احتمال منطقى ، فإن الجمال هو خاصة تقرير ما يدرك ضرورة إدراكا ذاتيا ابتداء ، لكنه موضوعى من ناحية التصور بافتراض عموم الشعور به لدى ذوى الأذواق ، فالجميل هو ما يعترف له بهذه الصفة لأنه مصدر شعور ذاتى بالرضا به دون حاجـــة إلى أفكار وأقيسة يتطلبها الحكم الموضوعى .

على أن « كانت » يقرر صلة صريحة بين الجمال ــ طبيعيا كان أم فنيا ــ وبين الخلق فهو يقرر: أن الحكم الجمالى يصدر عن الذوق وفيه إرضاء للوعى الجمالى بأن يكون الشىء الجميل مصدر متعة جمالية ، والأمر الذى يكاد يحس المرء أنه خاضع له ومستجيب حين يصدر الحكم الجمالى ليس أمرا منطقيا أو تجريبيا ــ كما هو الحال فى القضايا الرياضية أو الطبيعية ، وإنما هو أمر يقارن بالأمر الخلقى فى صدوره عن الوعى الجمالى الفردى . فالشخص الذى يفكر فى شىء جميل ، يخضع له خضوعا قريبا من خضوعه العقل حين يفكر فى الطبيعة ، وقريبا من خضوعه للمبدأ الخلقى فى ذاته . وتتضمن المثالية فى الجمال التعبير عما هو خلقى ، أى عما هو رمز لما فوق الحس من الحقائق ، وبدون هذا لا يمكن للموضوع الجمال أن يصل إلى درجة يكون فيها عاليا .

وجاء فيشته (١٧٦٢ : ١٨١٤ م) Fichte متأثرا بكانت ، وقد كان يرى فى الفن تحريرا للذات من حيث هى ، وفى هذا التحرير تمهيد للحرية الحقيقية . وأما شوبنهور (١٧٨٨ : ١٨٦٠ م) Shopenhauer فقد ارتأى أن التأمل فى الجمال تأملا روحيا خالصا يهيء للاهتداء إلى الزهد المطلق أو الخلق المؤسس على الرحمة ، وقد كان الشاعر الفرنسى بودلير (١٨٢١ : ١٨٦٧م) Baudelaire وجهة نظر فى علاقة الفن بالمنفعة وبالأخلاق ، فالفن نافع لأنه الفن . وإذا كانت الرذيلة فاتنة فيجب أن توصف بأنها فاتنة ، على أن الرذيلة تجر وراءها أمراضا وآلاما خلقية فريدة يجب وصفها كذلك .

وهكذا يخوض الفلاسفة فى آفاق المثالية لاستجلاء مفهوم الجمال وخصائصه ، وتتردد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى كلماتهم نفثات تشير إلى العالم الذى يرتادونه وراء المحسوس ، سواء أكان هذا العالم هو الوجدان أو الفكر . وقد كان هيجل (١٧٧٠ : ١٨٣١ م) Hegel ذهنى المنزع ، وعنده أن فكرة الجمال قد مرت فى ثلاث مراحل : ففى المرحلة الأولى سيطرت المادة على الفكرة فكان الجمال يتجلى فى العمارة - وهذه هى المرحلة الرمزية ويمثلها عند هيجل الفن الشرقى والمصرى ، أما المرحلة الثانية ففيها يتعادل المضمون مع الشكل ويصور النحت فكرة الجمال فى هذه المرحلة - وهى المرحلة الكلاسيكية ، ويمثلها عند هيجل الفن الإغريقى ثم تغلب الفكرة على الصورة فى آخر المراحل ، وتبرز الفنون الذهنية كالموسيقى والشعر ، ويطلق هيجل على هذه المرحلة المرحلة المسيحية . على أن هيجل يرى أن الفن أصوله ووسائله ، وإذا كان لا ينبغى له أن يؤذى الإحساس فإنما يطلب الخالق ذلك منه باسم الجمال الذى يستهدفه الفن دون سواه .

وعن طريق التحليل الذهنى أيضا توصل بندبتو كروتشيه (١٨٦٦ : ١٩٥٢ م) Benedette Groce أن للفكر أربعة ألوان من النشاط : جانب منها نظرى أوله الحدس intuition أو التصور الصادق : وهو نشاط الفكر فى مجال الجمال ، وبجانب ذلك هناك الإدراك : وهو وقوف الفكر على ما هو كونى وتوحيده مع الوعى الفردى فهو نشاط الفكر فى مجال المنطق ، وفى الجانب العملى نجد : الإرادة ، فإذا تعلقت بما هو فردى فإنها تتناول مجال النشاط الاقتصادى ، وإذا تعلقت بما هو عالمى فإنها تتناول مجال الأخلاق .

والفكر يخلق الجمال بإنتاجه الفنى عن طريق الحدس ، ويراه كروتشيه فى ذلك مستقلا عن العالم الخارجى على أن العمل الفنى ليس نتيجة الشعور فحسب ، ولكنه نتيجة ذكاء وفكر وإرادة أيضا ، إنه قد يعتمد على الشعور والعاطفة ولكن على أن يتخذ الفنان من هذا موضـــوع تفكير ، فتفقد العاطفة بهذا التفكير والتأمل حدتها الذاتية التى كانت لها فى البدء ، ويفقد الشعور عنصر الاضطراب الذاتى ، إذ من خصائص الفن تحقيق موضوعية الشعور الذاتى [1] .

هـذه النزعة المثالية فى فلسفة الجمال صار لها عنوانها المميز ومقوماتها الخاصة فهى النزعة التعبيرية Expressionism التى كان من آثارها فى النقد ظهور المدرسة الانطباعية أو usImpressioni ، أما فى الفن فقد برزت الرمزية بعد عام ١٨٨٠م ، إذ الرمز هو تعبير غير مباشر عن الأغوار النفسية المستترة التى لا تنهض بتحليلها ألفاظ اللغة فى دلالاتها

---

١ — من المراجع الأساسية : مؤلفا الدكتور غنيمى هلال : المدخل إلى النقد الأدبى الحديث ، الأدب المقارن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المحدودة ، فى حين يكون الرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح وللنزوع إلى الرمز أصل وركيزة فى فلسفة « كانت » ، وعلى النقيض تجد النزوع إلى التجسيم الذى يبرز فى (البرناسيه) فالشعر يحاول مثلا أن يلحق بالموسيقى عند الرمزيين بدل أن يرتبط بالتصوير من نحت أو رسم .

على أن الرومانتيكية كانت هى التى جاءت لتضع فى المقام الأول الحساسية والخيال والتعبير الشخصى وإثبات الذات وتمجيد الغريزة ، وتميل فى تعبيراتها إلى المبالغة والتضخيم ، وكانت الحركة الرومانتيكية فى التصوير أسبق منها فى الأدب ، يقول ديلاكروا (المتوفى عام ١٨٦٣ م) : « إذا كان المقصود من الرومانتيكية التعبير الحر عن انطباعاتى الشخصية ، وابتعاد عن الأنماط والنماذج التى يعاد نسخها فى المدارس دون أدنى تغيير ، وتفورى من المواصفات الأكاديمية ، فإنه من الواجب ألا أعترف فقط أننى رومانتيكى ، بل إننى كنت رومانتيكيا منذ الخامسة عشرة » ! وهكذا جاءت الرومانتيكية ثورة على القواعد والقوالب الكلاسيكية ، وانتصارا للنزعة الفردية ، وإعلاء للحساسية والعواطف على العقل ، فإذا كان الناس جميعا يشتركون فى التمتع بالعقل ، فإن ما يميز كل شخصية فى صميمها وذاتيتها هو الجانب الوجدانى وبخاصة اللاشعورى منه ، وقد بلغت الرومانتيكية ذروتها سنة ١٨٣٠ م ، وتزعمها فى الأدب (هوجو) وفى الموسيقى (برليوز) وفى التصوير (ديلاكروا) ، وكان جمهورها من الطبقة البورجوازية بعد أن كان جمهور الفن الكلاسيكى من الطبقة الارستقراطية ، وكان عصرها عصر الحركات القومية والوطنية والدستورية فى أوربا ، والخيال عند أصحاب النزعة الرومانتيكية هو الذى يولد الصور ، وهو يستطيع أن يستقل بتكوين هذه الصور دون ضرورة لاستلهام مثال من الأشياء يوجد أمامه ، ومن هنا يكون كمال الشعر فى لغته التصويرية لا فى تقريراته العقلية ، حتى يرى (كوليردج) مثلا : أن الشعر الكلاسيكى قد ضحى بالعاطفة المنطلقة المشبوبة من أجل الدقائق الفنية والوثبات الفكرية ، إن الفنان الرومانتيكى ينبغى أن يعبر عن الطبيعة والأشياء من خلال ذاته ، فنفسه مرآة لما حوله ومن حوله ، والصور هى وسائل تجسيم المشاعر والأفكار !

وإذا كانت النزعة الرومانتيكية قد دارت عليها الدورة ، فإن ما خلفها كان شأنه شأنها وشأن ما سبقها من منازع ومذاهب فى فلسفة الجمال والفن ، لا يفتأ يومض ببريق الأشعة العجيبة الصادرة من عالم عجيب وراء المحسوس؟

فتحى عثمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العماري

٥ — قضية المرأة :

لم تتعرض نصوص الإسلام وشرائعه للزواية ، والتحريف، والتهجم الحاقد ، في قضية من القضايا كما تعرضت في هذه القضية .

والمرأة ـ كما لا ينكر أحد من العقلاء ـ ذات رسالة سامية في الحياة . لها مكانتها في نفوس الرجال ، ولها احترامها وتقديرها . أما ، وزوجا ، وأختا ، وبنتا .

ولئن كانت القوانين الوضعية في مختلف العصور ، والأمم ، عنيت بالنص على ما ينبغي أن تعامل به المرأة ، من البر ، والإكرام ، والتقدير ، والاحترام ، وعنيت بإعطائها حقها ، وتمكينها من أداء رسالتها ، فإن الشرائع السماوية قد عنيت بكل ذلك على أتم وجه ، وأعدله .

والإسلام ـ بخاصة ـ من بين هذه الشرائع بلغ في ذلك ما لم تبلغه شريعة سماوية ، ولا قانون وضعي .

وآية واحدة في كتاب الله تبين المدى الواسع ، والمنزل الكريم الذي وضع الله فيه بنات حواء ، وتشير ـ مع إيجازها ـ إلى غاية ما تطمح إليه كل امرأة عاقلة ، مؤمنة بربها ، خبيرة برسالتها ، بصيرة بما يضرها وبما ينفعها ، تلك هي قوله تعالى في سورة البقرة : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » .

وكما نهج القرآن الكريم لأتباعه طريقة سمحة كريمة في معاملة المرأة كان الرسول عليه الصلاة والسلام يكثر من الوصاة بالنساء خيرا ، حتى روى أن آخر ما أوصى به صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى لجلج لسانه ، وخفي كلامه ، وهو يحتضر ، وهذه الثلاث هي : الصلاة ، والرقيق ، والنساء وقد بدأ وصيته بالنساء بقوله : الله ، الله في النساء ، وهو أسلوب يشعر بمدى اهتمامه عليه السلام بهذه الوصية .

عرض الإسلام لكل شأن من شئون النساء في قضايا كلية واضحة ، ومسائل جزئية واضحة أيضا جاء في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية المطهرة ، نصوص تبين ما للمرأة ، وما عليها .

كل ذلك حق ، ولكن فريقا من المنحرفين ، والمنحرفات ، يتذكرون لنصوص الإسلام ، أو يحاولون التخلص منها ، أو تحريفها حين يخوضون في هذه القضية .

فمنذ ما يقرب من عشرين عاما بلغت الجرأة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بعالم أزهرى أن يطرح الدين بعيداً عن قضية المرأة ، فأرسلها دون وعى أو استحياء ، إنه (ليستحى أن يقحم الدين فى مسألة نفض يده منها) هكذا جاء فى كتاب (من هنا نبدأ) للأستاذ : خالد محمد خالد ، وما نظن إلا أنه نادم الآن على كل ما قاله فى فصله الغريب (الرثة المعطلة) .

الدين نفض يده من قضية المرأة ، كأن الإسلام أنزل للرجال دون النساء ، وكأنه - كبعض النظم الوضعية الفاسدة - لا يعترف للمرأة بوجود فى هذه الحياة ، وهذا شر ما يرمى به نظام من النظم سواء كان من وضع البشر ، أو من وضع السماء . فكيف نتهم به الإسلام ، وهو الدين الخالد الذى جاء من العليم الخبير ، الحكم العدل ؟! .

وهذا المؤلف الذى استحى أن يقحم الدين فى قضية المرأة - بادئ ذى بدء - عاد فتمسح بالدين فى آخر الحديث ، فقال : على أن هناك حجة حاسمة ، تغنينا عن كل حجة ودليل ، هى ذلك التفويض المطلق الذى منحه الدين للناس ، حين قال الرسول : أنتم أعلم بشئون دنياكم ، أليست هذه الحقوق السياسية من شئون الدنيا .

وعجيب أمر هؤلاء الذين يفسرون الإسلام بأهوائهم كلما واجههم قائل فى شأن من الشئون بنصوص تضيق بها صدورهم ، فيلجئون إلى هذا الحديث : أنتم أعلم بشئون دنياكم ، وهم يعرفون - إن أحسنا الظن بهم - المناسبة التى قيل فيها هذا الحديث ، والمدى الذى لا يمكن أن يتعداه ما يشير إليه ، ولكنهم يجهلون ، أو يتجاهلون

حقوق المرأة السياسية من شئون الدنيا ، كأن المرأة حين تمارس هذه الحقوق تمارسها فى معزل عن المجتمع ، وتقوم بها بعيداً عن الرجال ، وكأن الإسلام لم يحد لظهور المرأة بين الرجال حدوداً ، ولم يضع لتصرفاتها ووظيفتها فى الحياة تعاليم ، وشرائع ، وكأن الرسول لم يقل فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى : لن يفلح قوم ولوا أمورهم امرأة ، وكأنه لم يقل : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة .

ولكن المؤلف لا يعترف إلا (بالتطور) فكل ما وصلت إليه المرأة استجابة لقانون التطور ، من تحد السفور المعيب ، والاختلاط المريب هو - عند المؤلف - (الفضيلة) ، فهو يقول : (ليس هناك إثم أشد ، ولا خطيئة أفحش من مقاومة التطور) ، هكذا بدون قيد ولا شرط ، فلا بأس أن يكون التطور إلى أسوأ ، وأن يكون مجافياً للتعاليم الإسلامية ، والفضائل الإسلامية .

هذا فى - الحقيقة - أنموذج فقط ، للانحراف فى هذه القضية ، وإنما عنينا بهذا الأنموذج - على قدمه نوعا - لندل على المدى الذى بلغه الكائدون للإسلام من بلبلة الأفكار ، وإشاعة الشك فى نصوص الدين ، فالمؤلف عالم ، وعالم تخرج فى الأزهر الشريف ، فإذا صدر منه مثل هذا القول كان من الخطورة بمكان .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإذا جئنا إلى أيامنا هذه وجدنا عالما آخر ، وهو رجل فاضل ، وعالم متمكن ، وباحث لا نشك فى قدرته على البحث المفيد ، ولا نرتاب فى دينه ، ولا خلقه ، وجدناه مسوقا بغير قصد - إن كان ما نقل عنه صحيحاً - إلى ما لا ينبغى أن يصدر عن مثله ، فى علمه ، وفضله .

جاء فى إحدى الصحف اليومية أن رئيس لجنة الأحوال الشخصية (وهو الشيخ فرج السنهورى) سئل : لماذا أعطيتم المرأة حق طلب الطلاق إذا تزوج امرأة أخرى غيرها ؟ فأجاب أعطينا المرأة هذا الحق من أجل إسكات النابحات فقط .

فهذه الإجابة فى منتهى الغرابة ، والخطورة :

أولا : يقول (أعطينا) كأن من حقه أن يعطى ، وأن يمنع ، وكان عليه أن يقول : إننا رأينا أن نأخذ بهذا الحكم من أحكام الإسلام.

ثانياً : هل يؤثر حكم على حكم آخر لمجرد الرغبة فى إسكات المعالبات بهذا الحكم الأول ؟

إننا لو سلكنا هذا المسلك للجأنا إلى الأخذ بالضعيف ، والحكم الذى لا مستند له ، ولكان إرضاء الناس آثر عندنا من التزام ما يظهر لنا من قوة الدليل

ومتى كان إرضاء فريق من الناس باعثاً من بواعث الأحكام ، فى أى نظام من النظم ، إلا أن يكون نظاما لا يستهدف المصلحة العامة ، وإنما يستهدف إرضاء من لا يرضون بغير ما يوافق أهواءهم .

ثالثاً : ما قيمة هذا الحق الذى يعطى ، لأن فريقا من (النابحات) طلبنه ؟ أليس هناك - أيضا - جماعات من (النابحين) ؟ !

رابعا : إذا كن (نابحات) وكلنا يعرف مدلول هذه الكلمة ، فلماذا نعنى أنفسنا بإجابة رغباتهن ؟ .

أليس المثل العربى يقول : الكلب ينبح ، والقافلة تسير ؟ !

خامسا : لقد قيل : إن الدليل الذى استندت إليه اللجنة دليل واهن ضعيف ، فإلى متى نلجأ إلى ثنيات الطريق ؟ .

ولا أظن أنه يذهب عن أكثر هؤلاء المشرعين فيما يتعلق بالأحوال الشخصية أن جماهير المسلمين تنفر من كل حكم يضعف مستنده من الدين .

إنى أعد قانون الأحوال الشخصية الذى تعمل به المحاكم الآن قانونا ميتا فى ضمائر المسلمين ، ولطالما استفتانى رجال ، وكان كل منهم يطلب إلى مع توجيه سؤاله ألا أفتيه بما تسير عليه المحاكم الشرعية الآن ، فقلبه لا يطمئن به ، وقليل من الناس من يتقبل هذه الأحكام ربما للضرورة القصوى ، وربما لأنه يستهين بعامة أحكام الدين .

إن مسألة كمسألة الطلاق ينبغى أن نلتزم فيها رأى جمهور الفقهاء ، فإن ذلك أصون للعلاقة الزوجية ، وأنظف لها فى ضمير الرجل والمرأة على السواء ، ولقد رأيت من النساء من استبد بها القلق على حياتها الزوجية الطاهرة لأن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

زوجها يعاشرها بعد طلاق استند فى الخلاص منه إلى رأى ضعيف من آراء بعض الفقهاء.

ثم ترى الخلط، والخبط، والانحراف، والجراة، والضلال، والسفه.

فهذا مستشار يعجب لماذا لا تأخذ المرأة فى الميراث نصيبا كنصيب الرجل، وينادى بذلك ويدعو إليه، وهو - بطبيعة عمله - يعرف تمام المعرفة النص الواضح الصريح الذى جاء فى القرآن الكريم خاصا بهذا الحكم، كأنه يقول لنا: لاداعى للتمسك بنصوص القرآن.

ولا بأس عليه فقد سمعنا عالما كبيرا يذيع على الناس أنه من حقنا أن نهمل النص إذا اقتضت المصلحة إهماله.

وهذا عالم يرى أن ضرب الرجل امرأته للتأديب (وحشية)، وينسى أو يتناسى أن القرآن الكريم جعل هذه العقوبة إحدى الوسائل لإصلاح المرأة فى نص لا يتحمل التأويل.

وكاتب يرى أن قول الرسول الكريم فى النساء إنهن (ناقصات عقل ودين) من الأقوال (البشعة).

وكاتبة ترى أن القرآن لم يفسر إلى الآن بمعانيه الحقيقية، وينبغى أن ينشط علماء العصر، وأن يفسروه بهذه المعانى، حتى تأخذ المرأة كل حقوقها.

وكاتبة أخرى ترى وجوب المساواة التامة بين الرجل والمرأة، فإذا قيل لها: إن الطبيعة، والنصوص الدينية تأبى كلها هذه المساواة، فالله سبحانه وتعالى يقول: «وللرجال عليهن درجة»، ويقول: «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم»، أجابت بأن (الميثاق) كفل للمرأة هذه المساواة، ونسيت أن (الميثاق) قرر مبدأ المساواة، كما قرره الإسلام، وأنه ما كان للميثاق، وهو عمل حكومة مسلمة لأمة مسلمة أن يخرج عن أصول الدين.

والحق أن الكاتبات المتطرفات يستندن إلى الميثاق بمثل هذا المنطق حين يدعين أنه أعطى لهن ما لم يعطه الإسلام، والميثاق برىء مما يعرفن.

فهل الميثاق أعطى المرأة حق أن تطلق زوجها متى أرادت؟ وهل الميثاق أعطى لها حق أن تتزوج من اثنين فى آن واحد؟ وهل الميثاق فرض عليها أن تقوم بنفقة زوجها وأولادها؟

إن عيب الكاتبات المتطرفات عندنا - مع جهلهن بأحكام الدين - أنهن لا يتورعن أن يطوعن لرغباتهن كل القوانين، وكل النظم، وينسين فى هذه الحماقة المدى الذى يستطعن أن يتساوين فيه مع الرجال لتصلح حياة الأسرة، وحياة المجتمع.

ونعود إلى قصة (ضرب المرأة)، ذلك أن امرأة ضربت زوجها، ورفع الأمر إلى القضاء، فأدانها القاضى قائلا: إن للزوج حقا فى تأديب زوجته جسمانيا، وضربها، فثار أحد الكتاب لذلك، واعتبره مظهرا من (مظاهر إهدار حقوق المرأة)، والتفنن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى ظلها) وأن المرأة (لذلك تريد أن تمارس حقها السياسى لترفع الإصر والأغلال التى عليها وتقضى على "فوارق الظالمة ، المتعسفة).

وإذن ، فمن حق المرأة - عند هذا الكاتب وأمثاله ، ومثيلاته - أن تؤدب زوجها بالهجر ، والضرب ، حتى لا تكون هناك فوارق ظالمة متعسفة ، ونسى الكاتب ، أو تناسى أن القاضى الفاضل إنما استمد حكمه من قول الله تعالى : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن ، واهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا » .

ولو تأمل (المجاملون) للمرأة ، و(المتملقون) لها ، و(الواقعون تحت سلطانها) هذه الآية جيداً ، ثم نظروا فى نصوص الشريعة الأخرى لرأوا أن هذا (الضرب) لابد منه فى بعض الحالات ، وأنه فى أضيق الحدود .

فالآية الكريمة بدئت بأمر يخشى منه على كيان الأسرة ، وهو (النشوز) من المرأة طبعا ، ، ثم ذكرت لهذا الداء الوبيل ألوانا من العلاج ، لايلجأ إلى ثانيها إلا بعد إخفاق أولها ، فالوعظ ، ثم الهجر فى المضجع ، ثم الضرب ، وقد فسره العلماء بالضرب الخفيف ، ثم لم يقف النص عند هذا الحد ، بل نهى بل نهى الرجال أن يكون لهم سبيل إلى إيذاء متى أطعنهم ، وعدلن عن هذا النشوز الذى يهدد حياة الأسرة ، ثم ذكر الرجال بأن الله على كبير ، فإذا كان منهم من يخدعه سلطانه ، وقوامته على بيته ، ويظن فى نفسه العلو ، والاستكبار فليتذكر أن الله أعلى وأكبر وأنه محاسبه إذا بغى وتجبر .

على أن الضرب لم يشرع إلا فى حالات خاصة ، ولنوع خاص من النساء ، وقد بين الرسول الكريم أن الضرب أمر توجبه الضرورة ، وأن على الإنسان أن يتفاداه ما استطاع ، فإذا لم يجد حيلة للإصلاح إلا الضرب فلا حيلة إلا اللجوء إليه .

وينبغى أن يعترف أنصار المرأة ، بل والمتطرفات من المناديات بمساواة المرأة للرجل بحقيقة مشاهدة ملموسة ، وهى أن من النساء من لا يصلحها إلا الضرب ، ولولا خوفها من بطش زوجها لفسدت ، وأفسدت وأن الإسلام لو حظر على الرجل هذا الحق لتعذر على رب الأسرة أن يقوم حقا على بيته

على أن المؤسف أن هذا الأمر ليس خاصا بالجاهلات ، أو الساكنات فى أجواف الصحارى ، وعلى قمم الجبال ، بل إن من النساء المتعلمات المتحضرات من لا يقيمها على الجادة ، إلا الخوف من رجلها .

وصدق الله العظيم ، ورغم أنوف المكابرين والمكابرات ، والمنحرفين والمنحرفات .

على العماري

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحرّيّة كما يُريدها الإسلام

للأستاذ عبد المنعم النمر

الحرية روح هذه الحياة وريحانتها، والنعمة الكبرى التى أكرم الله بها الإنسان دون غيره من المخلوقات، ولقد خلق الله آدم فى الجنة وميزه بحرية الإرادة والتفكير، فكانت هذه الحرية، هى الأساس لتعمير هذا الكون، وكل ما قام ويقوم فيه من حضارات.

لذلك عنى الإسلام بحرية الإنسان، عنايته بتكريمه، وأقام تكاليفه وتوجيهاته، على أساس أن الإنسان حر الإرادة والتفكير والاختيار.. حتى وجدناه يرفع المؤاخذة والحساب، عن كل إنسان سلب حريته، لأنه فى نظره، يكون حينئذ قد سلب إنسانيته ومسئوليته.

والحرية فى نظر الإسلام، لا يحدها حد إلا قانون السماء، ويتمتع بها الحاكم والمحكوم، فى ظل هذا القانون على سواء، وقد جعل الإسلام أهم ميزة فى المسلمين، مباشرتهم لهذه الحرية، فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وفى التوجيه والتقويم، وعد كل جماعة منهم، لا تباشر هذه الحرية، بالشقاء والبعد عن رحمة الله، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لكم».

هذه هى منزلة الحرية، واستعمالها فى نظر الإسلام.. ومن أجل هذا عُنى عناية شديدة، بغرسها فى النفوس، حتى تؤتى أكلها الطيب فى الحياة، ويعيش المسلمون كراما أعزاء...

ولقد كان المنبت الأول لهذه الحرية عقيدة التوحيد، التى تربط الإنسان فى خوفه ورجائه بالله الذى يملك وحده الضر والنفع، فلا يذل الإنسان نفسه لمخلوق مثله، لا يملك له ضرا ولا نفعا، وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله، فالموحد المؤمن الصادق يعيش حر النفس، مهما تعترضه النكبات والأهوال... حتى عقيدة التوحيد نفسها جعل الإسلام حرية التفكير، أساس اعتناقها وقبولها، حين دعا العقول إلى تدبر ما حولها من بديع صنع الله، لتصل فى حرية واقتناع،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى وحدة خالقها ، بل نجد القرآن يقرر هذه الحرية فى صراحة حين قال « لا إكراه فى الدين » « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» وبذلك وضع الإسلام أساس حرية الإنسان فيما يعتقد ، وهذا هو الشىء الطبيعى ، الذى يتمشى مع تكريم الله له ، إذ ليس من تكريمه فى شىء أن يجبر على أن يقول أو يفعل ما لا يعتقده ولا يقتنع به .

ومن أجل تدعيم هذه الحرية ، وفى سبيلها ، شرع الله القتال والجهاد ، واعتبر الذين يموتون فى سبيل الدفاع عنها شهداء ، ولو كان دفاعهم متمثلا فى كلمة حق ، يقولونها لسلطان جائر ، واعتبر كلّ إنسان متهاون فى حريته ، راض بذله واستكانته ، ظالماً لنفسه ، مستحقاً العذاب فى جهنم وبئس المصير يقول الله تعالى « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم . قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » ويهيب بالمسلمين إلى أن يناصروا الضعفاء المغلوبين على حريتهم ، ويقاتلوا من أجلهم ، فيقول : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

ثم نجد الإسلام يدعم هذه الحرية ، ويقيم حياة المسلمين العملية على أساسها ، حين يأمر نبيه أن يشاور أصحابه فيقول له : « وشاورهم فى الأمر » ويمدح المؤمنين الذين يعيشون فى ظل هذه الحرية فيقول « وأمرهم شورى بينهم» ويجعل الشورى قرينة الصلاة والزكاة .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم المثال الأعلى للحاكم المسلم ، الذى يعتز بهذه الحرية ويقدرها ، ويعلمها أصحابه فى دروس عملية واقعية ، وعرف صحابته رضوان الله عليهم منه هذا ، فكانوا يعلنون آراءهم المعارضة لرأيه أحيانا دون خوف ، وكان لا يجد غضاضة فى أن ينزل عن رأيه فى بعض الظروف ، ويأخذ بآرائهم ، تقديراً منه لوجهات نظرهم ، كما حدث فى مواطن متعددة معروفة ، قابل عمر ابن الخطاب مرة أبا هريرة ، منصرفا من مجلس الرسول ، ليبلغ الناس حديثا عنه صلى الله عليه وسلم يقول فيه : « من قال لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه دخل الجنة » ، فخشى عمر أن يتكل الناس على ظاهر هذا الحديث ولا يعملون ، وعمر وراءه ، فصد أبا هريرة وزجره ، ورجع أبا هريرة يبكى ويشكو لرسول الله ما فعل وعمر وراءه ... فقال الرسول : « ما حملك يا عمر على ما فعلت » فقال عمر : « بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد خشيت أن يتكل الناس عليها ، فخلهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يعملون» . فماذا كان موقف الرسول من هذه المعارضة؟ هل غضب؟ لا ... بل قدر وجهة نظر عمر ، وأخذ بها ، وتنازل عن رأيه في التبليغ ، وقال : « خلهم يعملون يا عمر ، صلى عليك الله وسلم يا رســـول الحرية ومعلم البشرية ...

وعلى يد رسول الحرية ، وفي مدرسته القرآنية الكبرى ، تعلم الصحابة معنى الحرية وتقديرها ، فعاشوا أحراراً ، وحرصوا على الحرية حكاما ومحكومين ، حتى وجدنا الخليفة منهم ، يطلب من الناس أن يقوموه ويرشدوه إذا أخطأ ، فيقف رجل من عامة المسلمين ، يوجه كلامه لعمر ، الخليفة الحازم ، ويقول له : « والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بحد سيوفنا ، فلا يغضب عمر بل يفرح ويقول «الحمد لله أن جعل في أمة محمد من يقوم عمر بحد سيفه ، ويرى في هـذه الظاهرة مظهراً كريماً للأمة الرشيدة... وفي ملأ من الناس تنتقده امرأة ، فيقبل انتقادها ، ويعلن أمامها وأمامهم ، في صراحة المؤمن الواثق من نفسه « أصابت امرأة وأخطأ عمر » .

وهناك أمثلة كثيرة وضاءة في التاريخ الإسلامي وهي كلها تؤكد حرص المسلمين الصادقين ، على تقرير حق الإنسان في الحرية ، وعلى تقديرهم لها ، حتى مع الأمم التي فتحوها ، وحتى مع الذين يخالفونهم في عقيدتهم ... لأنهم كانوا واضحين ، حريصين دائماً على العدل وعلى مصلحة شعوبهم .

ولعلنا نعرف بعد هذا ، أن الإسلام لا يرضى عن أي إجراء يتخذه المســـلم ، يعتدي به على حرية الفرد أو الجماعة ، وأن أية محاولة يتخذها حاكم مسلم لخنق حرية المسلمين ، يبرأ منها الإسلام ، وأن الذين يدعون الحكم بالإسلام ثم يسلبون شعوبهم حرياتهم ، وينكلون بالأحرار المؤمنين ، لا يمثلون رأي الإسلام في شيء ، وإن أعلنوا أنهم يحكمون بقوانينه .

إن الحرية في نظر الإسلام ، تعادل حياة الإنسان وكرامته ، ومن لا حرية له فلا حياة له ولا كرامة ، وإن طلاب الحرية وعاشقيها لا يجدون في قاموس الحرية أروع ولا أعظم مما سجله الرسول وخلفاؤه الراشدون ، من تقديرهم للحرية ، واعتزازهم بها . وإلى الذين يحاولون الاعتداء على حريات المسلمين باسم الإسلام أسوق حكمة عمر بل صرخته الخالدة من أجل الحرية « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

عبد المنعم النمر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بمناسبة ذكرى الفيلسوف الإسلامى « إقبال » :

رسالة "إقبال" إلى شباب الإسلام

للأستاذ محيى الدين الألوائى

إن الفيلسوف الهندى المسلم ، والشاعر الإسلامى الملهم ، « محمد إقبال » كان أحد الشخصيات البارزة التى جاد بها القرن العشرون للعالم الإسلامى خاصة ، والعالم الإنسانى عامة . دعا قومه إلى الألفة والود ، والعالم الإسلامى كله إلى الأخوة والوحدة ، والعالم الإنسانى إلى النور والعرفان .

ولد « محمد إقبال » فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ١٢٨٩ هـ فى مدينة سيالكوت [1] ، فى ولاية بنجاب فى شمبه القارة الهندية ، وكانت عائلته منحدرة من « كشمير » ، فأما أبوه فكان متصوفا عاملا ، وتقيا ورعا ، وقد تأثر إقبال منذ صباه بالأخلاق الصوفية ، التى تحلى بها والده الفاضل ، وقيل : إنه قال لإقبال حين رآه يكثر قراءة القرآن : إن أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك .

واستمد إقبال آراءه الفكرية ، ومذاهبه الفلسفية ، وحميته الإسلامية من المنابع القرآنية ، وتدل كثرة اقتباسه من القرآن فى شعره على أن القرآن كان على قلبه ولسانه وله فضل كبير فى إيقاظ الهمم ، وتشحيذ العزائم فى قلوب الملايين من المسلمين ، ودعوتهم إلى ينبوع التعاليم القرآنية ، فى داخل الهند وخارجها ، وبمناسبة احتفاء العالم بذكراه العاطرة نرى من المناسب أن نقوم بتطواف سريع حول رسالته إلى شباب الإسلام الذى فى يده مقاليد المستقبل ومفتاح الرقى والنهضة فى العالم العربى والإسلامى بوجه خاص ، والعالم الإنسانى بوجه عام ، فيقول إقبال مخاطبا الشباب المسلم :

« المسلم المثالى هو الذى يمتاز بين أهل الشك والظن بإيمانه وعقيدته ، وبين أهل الجبن والخوف بشجاعته وقوته الروحية ، وبين عباد الرجال والأموال والأصنام والملوك بتوحيده الخالص ، وبين الأوطان والألوان ، والشعوب بآفاقيته وإنسانيته ،

(١) الواقعة بالباكستان الغربية بعد تقسيم شبه القارة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبين عباد الشهوات والأهواء والمنافع بتجرده وتمرده على موازين المجتمع الزائفة، وقيم الأشياء الحقيرة، وبين أهل الأثرة والأنانية بزهده وإيثاره وكبح نفسه، ويعيش برسالته ولرسالته، ذلك المسلم الحق، الذى مهما اختلفت الأوضاع، وتطورت الحياة لايزال يؤمن بالحقيقة الثابتة التى لا تتغير ولا تتحول - هذا الشاب المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار، بل خلق ليوجه العالم، ويملى عليه إرادته، لأنه صاحب الرسالة، وحامل العلم اليقين، فليس مقامه مقام التقليد والاتباع، بل مقام الإمامة والقيادة، وإذا تنكر له الزمان، وعصاه المجتمع، لم يكن له أن يستسلم ويخضع، ويضع أوزاره، ويسالم الدهر، بل عليه أن يثور عليه، وينازله، حتى يقضى الله فى أمره وبذلك يرد الأمر إلى نصابه، ويقيم عوج الدهر المشوم، ويصلح الفاسد»، وفى هذا يقول الدكتور محمد إقبال ممثلا:

«سألنى ربى هل تناسبك هذا العصر، وانسجم مع عقيدتك ورسالتك؟ قلت: لا يارب، قال: فطمه، ولا تبال!!»، وأخيراً يرى إقبال أن الخضوع والاستكانة للأحوال الفاسدة، والأوضاع القاهرة، والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والأقزام، وفى هذا يقول فى بعض أشعاره:

«المسلم الضعيف يعتذر دائما بالقضاء والقدر، أما المؤمن القوى بنفسه فهو قضاء الله الغالب، وقدره الذى لا يرد»[1].

ويقول إقبال فى بيان مقصد حياة المسلم، وموقفه من مواجهة الصعاب، فى سبيل إعلاء كلمة الله، لأنه خليفة الله فى الأرض:

«إن المسلم القوى الذى نشأته الصحراء، وأحكمته رياحها الموجاء، أضعفته رياح العجم فصار فيها كالناى، نحولا ونواحا، وإن الذى كان يذبح الليث كالشاة تهاب وطء النملة رجلاه، والذى كان تكبيره يذيب الأحجار، انقلب وجلا من صفير الأطيار، والذى هزىء عزمه بشم الجبال غل يديه ورجليه بأوهام الاتكال، والذى كان ضربه فى رقاب الأعداء صار يضرب صدره فى اللأواء، والذى نقشت قدمه على الأرض ثورة كسرت رجلاه عكوفا فى الخلوة، والذى كان يمضى على الدهر حكمه، ويقف الملوك على بابه رضى من السعى بالقنوع، ولذلة الاستجداء والخنوع»، وأردف قوله فى بيان فطرة المسلم المتخلق بالآداب المحمدية إذ قال على لسان والده له:

«إن فطرة المسلم الرحمة، والرحمة يده ولسانه فى هذه الدنيا، وإن الرسول بعث رحمة للعالمين، فإن بعدت عن سنته فلست منا

(١) رسالة - شاعر الإسلام د. اقبال.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنت طائر فى بستاننا ، تفرد بتغريدنا ، فإن تكن ذا نغمة فنى بستاننا فغن بها ، كل حى تهلكه العناصر المضادة ، فإن تكن بلبلا ، فنى الروض طيرانك وتغريدك ، وإن تكن عقابا ففى الصحارى مسرحك ومصيدك ، وإن تكن كوكبا فأضئ فى حبالك ، ولا تحد عن أفلاكك ، إن طينة المسلم الطاهرة لؤلؤة ، من بحر النبى مأواها ولألاؤها » :

وكذلك تطرق إقبال إلى حياة الأمة التى تريد مركزاً مرموقا ، وحياة شريفة ، فقال : « إن الحياة طائر لا عش له ، إنها ليست إلا الطيران ، إنها طائر طليق ، وفى القفص حبيس ، يخلط تغريده بنواحه ، الحياة تعقد العقد فى أمورها ثم تحل ما انعقد بتدبيرها ، إن الحياة السريعة تقيد قدمها فى الطين لتزيد لذة نمائها وسيرها كل حين ، فإن فى حرقتها ألحانا لا تنفد ، وإن وليد يومها الأمس والغد ، هى كالرائحة حركة لا تقر ، ولكن تسكن الصدر ، فتصير نفسا حيا عقد الحياة فيها ورق وثمر كالحبة ، تفتح عينها على نفسها ، فإذا هى شجرة ، وتلبث الحياة خلعة من الماء والطين ، فإذا هى حواس مدركة ، كذلك سنة ميلاد الأمم أن تجتمع الحياة فى مركز ، المركز من الدائرة كالروح من الجسد ، إن خطها مضمر فى نقطتها ، بالمركز انتظام الأقوام . وبالمركز يقدر لها الدوام ، وإن سرنا فى الحرم ، وفيه بكاؤنا وغناؤنا لا جرم : بستاننا من نداه زاهر وزرعنا من زمزمه ناضر ، وبه علا فى الدنيا صوتنا ، ووصل قديمنا حديثنا إن التئام الملة البيضاء من الطواف بالحرم به توحدت كثرتنا ، واستحكمت بقيد الوحدة عزيمتنا :

يا شاكيا جور الزمان ،
ويا أسير الوهم والحسبان
اجعل قميصك ثوب الإحرام ،
وأطلع الصبح فى هذا الظلام (١)

وتكملة لرسالته فى الحياة وتأدية لواجباته نحو الأمة وتنبيها الشباب من غفلاته ، يبين مقاصد الأمة فى الحياة ، فى حروف واضحة وكلمات :

« إن مقصد الحياة سر بقائها ، وبه يأتلف ما تفرق من قواها ، وإذا تنبهت الحياة لمقصدها وجهت أسباب العالم إليه وتوجهت نحوه تجنى وتنتقى وترد ، فإن الكون يعمل جاهداً حتى يبلغ مقصداً من مقاصده ، فهو يغرس ألف مقصبة ليظفر بأنة من ناى ، وكم صور ورمى وكسر حتى أثبت صورتك فى لوح المياة ، وكم بث نواحا فى النفس حتى سمع صوت أذان ، وكم حارب الأحرار ، ونصر الأشرار ، وبذر الإيمان فى طين الإنسان حتى قرأ على لسانك كلمة التوحيد »(٢)

(١) كتاب « إقبال » الدكتور عبد الوهاب عزام
(٢) « محمد إقبال » الدكتور عبد الوهاب عزام .

(البقية على الصفحة التالية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

محمد رسول الله

للأستاذ مصطفى عبد الواحد

— ٢ —

« ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان » !

وإذا لم يكن فى تراث الحنفاء من العرب ما يصلح مصدراً لدعوة محمد ، فقد اتجهت طائفة من المستشرقين ، بل يكادون يجمعون على ذلك فى حديثهم عن الإسلام ، إلى أن محمداً قد أتيح له الاتصال بالنصرانية ودراسة مبادئها ، عن طريق أتباع الكنيسة النسطورية ، وأنه تلقى مبادىء الدين عن هؤلاء ، وما كانت دعوة الإسلام — فى نظرهم — إلا اقتباساً من المسيحية لوثته البيئة ، وأثرت فيه الظروف . .

يردد ذلك القول الكثير من المستشرقين ، حتى من نظنهم علمانيين لا يدورون فى فلك التبشير ولا يخدمون أغراض الاستعمار الصليبى ، مثل بروكلمان فى كتابه « تاريخ الأدب العربى [1] » .

ولا بأس ! فلنقف أيضاً عند هذا الرأى ، ليس معنا إلا نور العقل ، وبرهان التاريخ وضياء الإنصاف ، ولنطرح مع ذلك الحماسة والعاطفة ! .

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ص ١٣٥ .

(البقية على الصفحة السابقة)

وأفاض إقبال فى بيان تبعة شباب الإسلام فى إعلاء الحق ونشر التوحيد ، وحفظ كيان الأمة ، والعمل لرفاهية البشرية وأخيرا وجه كلمته الحاسمة لأمته بقوله :

« إن هذا العالم مسخر للإنسان وإن للإنسان فيه جهادا ، وإن لذة الإنسان وكماله فى هذا الجهاد ، وإن الله جعل هذه الدنيا نصيب الأخيار ، وجلا محاسنها لعين المؤمن ، هذه الدنيا طريق القافلة ، هذه الدنيا امتحان لقوة الإيمان ، فسخرها لئلا تسخرك إن فكر الإنسان يسبح فى العالم ليسخر قواه ويتصرف فيه فنون التصرف ، فاركب الهواء واصدع الجبال ، واستخرج اللؤلؤ من البحار [1] » .

هذا ما سمح به المقام ، ووسعه المقال ، من ذكرى إقبال الفيلسوف المفضال . ؟

محمد البهى الدقوقى

(١) نفس المرجع السابق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

محمد رسول الله

للأستاذ مصطفى عبد الواحد

— ٢ —

« ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان » !

وإذا لم يكن فى تراث الحنفاء من العرب ما يصلح مصدراً لدعوة محمد ، فقد اتجهت طائفة من المستشرقين ، بل يكادون يجمعون على ذلك فى حديثهم عن الإسلام ، إلى أن محمداً قد أتيح له الاتصال بالنصرانية ودراسة مبادئها ، عن طريق أتباع الكنيسة النسطورية ، وأنه تلقى مبادىء الدين عن هؤلاء ، وما كانت دعوة الإسلام — فى نظرهم — إلا اقتباساً من المسيحية لوثته البيئة ، وأثرت فيه الظروف . .

يردد ذلك القول الكثير من المستشرقين ، حتى من نظنهم علمانيين لا يدورون فى فلك التبشير ولا يخدمون أغراض الاستعمار الصليبى ، مثل بروكلمان فى كتابه « تاريخ الأدب العربى [1] » .

ولا بأس ! فلنقف أيضاً عند هذا الرأى ، ليس معنا إلا نور العقل ، وبرهان التاريخ وضياء الإنصاف ، ولنطرح مع ذلك الحماسة والعاطفة ! .

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ص ١٣٥ .

(البقية على الصفحة السابقة)

وأفاض إقبال فى بيان تبعة شباب الإسلام فى إعلاء الحق ونشر التوحيد ، وحفظ كيان الأمة ، والعمل لرفاهية البشرية وأخيرا وجه كلمته الحاسمة لأمته بقوله :

« إن هذا العالم مسخر للإنسان وإن للإنسان فيه جهادا ، وإن لذة الإنسان وكماله فى هذا الجهاد ، وإن الله جعل هذه الدنيا نصيب الأخيار ، وجلا محاسنها لعين المؤمن ، هذه الدنيا طريق القافلة ، هذه الدنيا امتحان لقوة الإيمان ، فسخرها لئلا تسخرك إن فكر الإنسان يسبح فى العالم ليسخر قواه ويتصرف فيه فنون التصرف ، فاركب الهواء واصدع الجبال ، واستخرج اللؤلؤ من البحار [1] » .

هذا ما سمح به المقام ، ووسعه المقال ، من ذكرى إقبال الفيلسوف المفضال . ؟

محمد البهى الدقوقى

(١) نفس المرجع السابق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أين له ذلك ؟

ونبادر إلى السؤال : كيف تسنى لمحمد أن يدرس النصرانية ويطلع على مصادرها ؟ لا أن يسمع بها مجرد السماع ، فذلك أمر شائع فى كل البيئات لا يثمر علما ولا يؤدى إلى تأثر .

إنه ليستطيع الإنسان المحاكاة ويقدر على الاستعداد والتأثر ، لابد له من اتصال قريب يعمق المعرفة ويباشر الوجدان ، ولابد له من ترديد النظر وإجالة الرأى واختيار الفكرة ، ليدرك دوره بعد ذلك وليخرج على الناس بشىء يستطيع الدعوة إليه . .

فمن أين لمحمد الاتصال بالمسيحية ، بل ودراستها والتعمق فى أصولها ، حتى خرج على الناس بهذا « المزيج » الجديد ؟ ! .

هل كان ذلك الاتصال فى مكة ؟

ولا يمكن أحداً القول بأنه كان فى مكة جالية مسيحية ، فضلا عن كنيسة أو مركز دينى يدعو ويؤثر ، بل إن الملاحظ أن المسيحية كانت لا تثير حماس العرب ، قبل الإسلام ، ولا تقع عندهم بموقع .

وقد كانت تجربتهم القريبة مع دولة مسيحية قبل مولد الرسول عام الفيل ، عندما عبر أحد العرب عن سخطه على محاولة أبرهة أن يصرف العرب عن البيت الحرام إلى كنيسة بناها بصنعاء ، فأثارت فعلة العربى الساذج غضب أبرهة ، فأقبل ليهدم الكعبة ، فكان من أمره ما كان مما هو محفوظ مشهور . .

والذين تنصروا من العرب كانوا من الندرة بحيث حفظت أسماؤهم ودونت أخبارهم ، مما لم يجعل للتبشير بالمسيحية فى الجزيرة العربية نشاطا قبل الإسلام .

الرحلة فى حياة النبى :

ولكن المستشرقين يوفرون على أنفسهم مشقة الجواب ، ويبادرون إلى تحديد المصدر الذى درس الرسول عن طريقه النصرانية .

فهم يقرأون فى سيرة النبى - صلوات الله عليه - أنه سافر إلى الشام ، فيجدون فى ذلك دليل رأيهم ، ويرون أنه فى سفره إلى الشام لابد جالس الرهبان وتأثر بتوجيههم وعرف مبادىء الدين عنهم .

ذلك فرض ، يحتمل المناقشة ، ولكن المستشرقين يرقون به إلى درجة الحقيقة الثابتة ، ويؤسسون على ذلك رأيهم فى الإسلام .

وليس هكذا تناقش المبادىء أو تحاكم الأديان والدعوات !

أما أن الرسول قد رحل إلى الشام قبل نبوته ، فذلك أمر ثابت فى سيرته ، لا ينكره الأصدقاء ، ولكن دراسته للنصرانية عن هذا الطريق أمر طريف يثير السخرية ولا يتقرر عند العقلاء .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إذ أن الروايات تجمع على أن الرسول سافر إلى الشام مرتين فحسب ، كانت الأولى وهو فى الثانية عشرة من عمره ، وكانت الثانية فى تجارته لخديجة .

فكيف يستطيع محمد فى زورتين للشام ، وكان فى إحداهما غلاما ، أن يقبصر فى النصرانية ويتعمق إلى حد أن « يؤلف » دينا على أساس تلك الدراسة ، يحوى عقائد وعبادات وشرائع ! .

أما كان الأجدر بهذا « الاقتباس » رجل رحالة مثل « أبى سفيان » الذى كان يكثر الخروج إلى الشام ، ويتردد فى تجارته بين الأقطار ؟ ! .

ولماذا يتسنى ذلك لمحمد ولا يتسنى لأكثر العرب بحثا عن الدين وخروجا إلى الشام كذلك ، وهو « أمية بن أبى الصلت » .

وقد كان أمية من رجحان العقل بحظ وافر ، وكان لفرط تشوقه إلى الحق وبحثه فى العقيدة ، يهتدى بالفطرة إلى الغرض السليم وهو وحدانية الإله وضرورة اليوم الآخر حتى قال فيه الرسول بعد البعثة : « كاد أمية أن يسلم » .

كما كان يكثر الجلوس إلى الرهبان فى زوراته للشام ، وكان له منهم الأصدقاء الأوداء .

فلم أخطأه التوفيق ولم يقم بالدعوة التى قام بها محمد ، إذا كان الأمر استفادة من رحلات الشام فى نظر المستشرقين ؟!

قد يقولون : لا لم تكونا رحلتين إلى الشام فقط ، بل إنها رحلات ورحلات ، ينقص منها الرواة عن عمد رغبة فى إنكار هذا التأثر ! .

ونجيب : فليكن ! ولتفرضوها رحلات عديدة ، مخالفين بذلك الحقيقة والتاريخ ، مضربين عن المقارنة بينه وبين الرحالة العرب فأى مدى ، ترى ، تصل إليه تلك الرحلات فى نفس محمد ؟ .

إلى إتقان النصرانية وإجادة شعائرها ، أو الاقتناع بها والولاء لها . ؟

وهل يجاوز فى ذلك أن يصير راهبا أو متنسكا لكن ذلك أو أقل منه لم يؤثر عن محمد فى أولى ولا آخرة ، ولم ير فى يوم مؤديا لطقوس أو مفيضا فى عقيدة أو مجادلا فى شأن من تلك الشئون .

وكل ما أثر عنه فى الجاهلية من أمر الدين نوع من التأمل والتفكير فى خلوته السنوية لا يصل به البحث إلا إلى بقايا دين إبراهيم من أمر التوحيد والتنزيه .

فصلة محمد فى الجاهلية بالنصرانية صلة مبتوتة لا دليل عليها ولا شاهد .

ويقول المستشرقون : لسنا نريد أنه دان بالنصرانية ، ولكن المقصود أن اتصاله برهبان الشام وجلوسه إليهم قد لقنه مبادىء الدين ودفعه إلى التفكير فى العقيدة مما كان حصيلة دعوة الإسلام ، التى خرج بها على الناس :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وعند هذا الحد نصل إلى نقطة حاسمة ، تتصل بمضمون الإسلام ، تقتضينا مزيدا من التأمل ومزيدا من الإنصاف والحق .

وهل هناك عناصر مسيحية فى الإسلام ؟

إن كان المراد أن دعوة الإسلام ترديد لمبادىء النصرانية [1] ومحاكاة لها كما كانت فى عهد الرسول ، فذلك قول زائف لا يثبت أمام النظر السطحى فضلا عن التفكير والتأمل

إذ أن الخلاف بين الإسلام والمسيحية ، خلاف جذرى يتصل بأمر العقيدة ، ويفترق عند حدود فاصلة ، لا يمكن معها ادعاء تأثر أو محاكاة .

فعند « لا إله إلا الله » كان الافتراق الفاصل ، الذى ميز دعوة الإسلام ، وحدد لها غايتها وخط طريقها .

فشتان بين دين يأتى من أول يوم ليدعو إلى عقيدة التوحيد ، لا يحيد عنها ولا يسمح بمساومة حولها ولا إغضاء عن وضوحها ولا شائبة تشوب صفوها أو تغض من قدسيتها وجلالها ، وبين دين يختلف أتباعه فى العقيدة ويفترقون ، ويؤمن أكثرهم بتعدد الإله وتثليثه ...

لقد كانت عقيدة التوحيد أهم مبادىء الإسلام وأخطرها ، وكانت محور الخلاف بين محمد وقومه ...

« أجعل الآلهة إلها واحداً ، إن هذا لشىء عجاب » .

وكل شىء عداها كان يمكن أن تقبله العرب أو تناقشه ...

« وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذاهم يستبشرون » .

والذى يتبصر فى القرآن يرى دعوة التوحيد قد شغلت منه جانباً كبيراً ، وأنها قضية العقيدة الإسلامية الأولى التى كافح الوحى من أجلها .

ولو كان أمر التوحيد فى الإسلام هينا لوفر الإسلام على نفسه العناء الذى لقيه فى دعوة العرب إليه ، ولقبل عرض الكفار حين قالوا للرسول : نعبد إلهك يوما وتعبد آلهتنا يوما ، ولكن القرآن يرفض ذلك بإصرار وحسم : « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد » .

فلو أن الإسلام التقى مع المسيحية فى العقيدة فى الله ، ثم اختلف معها فى فرع من الشريعة أو جانب من العبادة لهان الأمر فى دعوة المستشرقين ، ولكن خلافا أصيلا

---

(١) يذكر بروكلمان من مصادره فى بحثه عن القرآن هذه الكتب : عناصر نصرانية فى القرآن تأليف هرنز والمصادر الأصيلة للقرآن تأليف تزدال طبع فى لندن سنة ١٩٠٥ و« طابع الإنجيل فى القرآن » تأليف ولكر طبع سنة ١٩٣١ و« رسالة محمد وأصالته » لجرنباوم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى العقيدة ، لا يمكن معه القول باستفادة أو تأثر ...

لقد كانت عقيدة التوحيد محور الخلاف بين الإسلام والنصرانية ، وبها يقف الإسلام من النصرانية موقف التقويم والإرشاد ، فقد كانت المسيحية فى انتظار الإسلام : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة » .

ولذلك يتجه القرآن إلى أهل الكتاب فى ثقة يحذرهم من الغلو والافتراء ، ويهديهم إلى جانب الرشاد فى العقيدة :

« يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد » .

فمن من العرب الأميين ، مهما رحل إلى الشام وجالس الرهبان أو أقام معهم فى صوامعهم كان يستطيع أن يتحدث إلى النصارى بهذه اللهجة ليهدى إلى جانب الحق ويكشف ما أصاب العقيدة من ضلال ويبين لهم استحالة الولد على الله ؟ ! .

وهل يريد المستشرقون أن الإسلام نزعة إصلاح فى المسيحية ؟ .

إن المذاهب المتفرعة أو محاولات الإصلاح لا بد أن تلتقى عند الجذور الأولى مع المذهب الأصيل ، ولا بد أن تتفق فى أمر العقيدة ، ثم يفسح المجال بعد ذلك للزيادة والابتكار أو الخلاف والتشعب .

ولكن محمداً فى دعوته للإسلام لا يصدق عليه مقياس تأثر أو استفادة من النصرانية إذ أن نظرته إلى أمر العقيدة أعلى درجة وأفسح مجالا ، وموقفه مما تقدم من الأديان موقف الحكم والهيمنة « مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » .

وقد كان القرآن ، منذ العهد المكى ، واضحا فى موقفه من النصرانية ، وحاسما فى أمر العقيدة ، وفاصلا فى حقيقة عيسى ابن مريم عليه السلام .

فالله واحد ، لا شك فى ذلك ولا تردد « قل هو الله أحد » « إن إلهكم لواحد » « رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا » « وقال الله : لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد » .

كذلك كان موقف القرآن من عيسى عليه السلام ، وهو الجانب الخطير فى العقيدة المسيحية واضحاً أشد الوضوح .

فمن البداية يؤكد القرآن أنه لا ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ، وأن ادعاء ذلك افتراء وبهتان « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئاً إدا ، تكاد السموات يتفطرن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ، إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا » (١) .

وكيف يكون له سبحانه ولد ، والولد يستلزم أن يكون له صاحبته ، تنزه عن ذلك وتقدس ، « وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » (٢) « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا (٣) » فعلاقة الكون كله بالله علاقة الصنعة بالصانع ، لا فرق بين بشر وحجر .

« أنى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم (٤) » .

وعلى هذا الأساس يفسر القرآن حقيقة عيسى ابن مريم ويكشف عن قصته اللبس والغموض.

فمريم ابنة عمران أمرأة صالحة متعبدة أحصنت فرجها ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » (٥) اختارها الله سبحانه لتكون في ولادتها لعيسى من غير أب شاهدا على قدرته التي لا تحد ، وجعلناها وابنها آية للعالمين (٦) .

(١) سورة مريم .
(٢) سورة الجن .
(٣) سورة الإسراء .
(٤) سورة الأنعام .
(٥) سورة التحريم .
(٦) سورة الأنبياء .

وحينئذ فلا غموض في أمر عيسى ولا اختلاف . « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » (١) بل إن آدم في ذلك أعجب وأغرب .

والقرآن يذكر أن عيسى دعا قومه إلى عبادة الله ربه وربهم ، وأن الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » (٢) .

ولكن الخلاف في أمره وغموض التصور في تلك العصور من التاريخ ، أدى بقومه إلى ألوان من الاتجاهات وعديد من الآراء جانبها الحق ونأى عنها الرشاد ... «فاختلف الأحزاب من بينهم ، فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (٣) » .

بهذا نطق القرآن في مكة ، وبهذا حدد الإسلام موقفه من المسيحية ولم يلتق معها في العقيدة التي هي حجر الأساس في بناء الدين والتي يتفرع عليها الاتجاه والعمل .

فأين تقع معرفة محمد بالمسيحية من الدين الذي جاء به ، وأين هي الاستفادة من النصرانية التي يدعيها المستشرقون المنصفون ؟

مصطفى عبد الواحد

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة مريم .
(٣) سورة مريم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الناحية العلمية من إعجاز القرآن

للأستاذ أحمد محمد الغمراوى

— ٤ —

بعد أن أوردنا ما أثبته علم الفلك الحديث الشمس من جرى حقيق قدره اثنا عشر ميلا فى الثانية فى الفضاء مصداقا لقوله تعالى : « والشمس تجرى » ، فكان ذلك مثلا باهرا للإعجاز العلمى فى القرآن ، لم نتعرض للشطر الثانى من الآية الكريمة : « والشمس تجرى لمستقر لها » ، إذ من الواضح أن المستقر الذى ينتهى إليه الجرى أمر من أمور الغيب التى لا يعلمها إلا الله العزيز العليم ، الذى قدر ذلك الجرى على هيئته ، لينتهى إلى غايته فى الوقت الذى استأثر سبحانه بعلمه ، إذ هو فيما يبدو متعلق بالأشراط الفلكية لقيام الساعة إن لم يكن هو وقت قيامها .

إن السنة الكونية التى يسميها العلم بقانون الجاذبية العام بين الأجرام والتى لا يدرى العلماء لها تفسيرا ولا تعليلا ـ هذه السنة تقضى بأن جرى الشمس بتلك السرعة لابد أن يكون راجعا إلى جاذب هائل يجذبها فى الاتجاه الذى تجرى فيه كما تجذب هى سياراتها ، وكما تجذب السيارات ذوات الأقمار أقمارها ، وليس يعلم إلا الله ما هو ذلك الجاذب الهائل ، ليس يعلم إلا الله هل هو جرم واحد بالغ العظم يجذبها فيكون مستقرها أن تصطدم ، وتستقر فيه ، أو هو عدة أجرام فى مواقع مختلفة كل منها عظيم يجذبها فى اتجاهه فيكون لمجموع قوى الجذب فى الاتجاهات المختلفة تأثير قوة واحدة يجرى بها الله الشمس فى مجراها الذى يعرفه العلم الآن سرعة واتجاها ، ويكون مستقرها الذى سوف تصير حتما إليه راجعا : إما إلى تغيرات فى تلك القوى تنشأ عن تغيرات فى مواقع تلك الأجرام المتحركة تؤدى بها فى النهاية إلى توازن تصير به الشمس إلى السكون ، وإما إلى تدخل جاذب جديد يعرض للشمس فى مجراها فى اتجاه مضاد بحيث تكون نتيجة تدخله استيقاف الشمس وسكونها فى النهاية عند الموقف أو المستقر الذى قدره لها الله العزيز العليم ، من غير اصطدام بأحد تلك الأجرام . وعروض هذا الجاذب الجديد جائز فى الحالة الأولى أيضا ، حالة احتمال أن يكون الجاذب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الهائل جرما واحداً بالغ العظم ، فالله سبحانه أعلم أى هذه الاحتمالات يكون .

لكن مهما يكن منها - أو من غيرها ، وهذا من باب الاحتياط - فلابد أن يتم على الوجه الذى تتحقق به جميع الآثار التى جاءت فى القرآن المجيد وفى الحديث الصحيح من مقدمات الساعة ، كطلوع الشمس من مغربها فى حديث أبى ذر ، أو من أحداث قيام الساعة نفسها كجمع الشمس والقمر فى سورة القيامة .

فانظر إلى ذلك الجرى الذى أثبته القرآن للشمس وحققه علم الفلك الحديث بعد نزول القرآن بقرون وقرون ، ثم إلى ذلك المستقر الذى أخبر القرآن ، فى أوجز لفظه وأفصحه وأوضحه ، أنه غاية ذلك الجرى ونهايته ، وإن لم يعرف العلم عنه شيئا بعد - انظر إليهما معا كيف إنهما فى ضوء سنة الجاذبية العامة قد استلزما أن تكون الساعة وأشراطها وأحداثها لا خرقا ، ولكن طبقاً للسنن الكونية التى فطر الله عليها الكون ، ومن الممكن الفلكى الحديث المتمكن من العلم ومن فقه كونيات القرآن معاً أن يسترشد بتلك الأشراط والأحداث الفلكية ، كما جاءت فى كتاب الله وعلى لسان رسوله فيستنبط منها ومن الثابت اليقينى فى العلم ، كثيراً مما لابد منه كى تتحقق الآثار بالترتيب الذى ينبغى أن تكون عليه ، أما الذى لا يمكن لأحد أن يعرفه قطعيا بلغ من العلم والفقه والبصر فهو الوقت الذى قدر لتلك الآثار والأشراط والأحداث أن تقع فيه على التتابع أو التجمع الذى قدره الله لها ، فإن الله سبحانه قد استأثر بعلم ذلك الوقت كما أخبر فى كتابه العزيز .

وتنكير المستقر فى قوله تعالى : (عظم المستقر لها) ، يشير إلى شأنه وهول آثاره التى ستكون ، كالذى نبه إليه الإمام عبد القاهر من دلالة التنكير فى قوله تعالى : (وأمطرنا عليهم مطراً) : قصص قوم لوط ، والقرينة على هذه الدلالة فى إحدى الآيتين تختلف عنها فى الأخرى لاختلاف المقام فى كل ، كما يدل عليه السياق ، فالمقام فى آية قصة قوم لوط مقام تحذير من عاقبة الإصرار على الغواية وتكذيب الرسل ، فكانت القرينة قوله تعالى : « فانظر كيف كان عاقبة المجرمين » فى آية (٨٤) من سورة الأعراف ، وقوله تعالى : « فساء مطر المنذرين » فى آية (١٧٣) من الشعراء ، وآية (٥٨) من النمل « وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) الأعراف .

« وأمطرنا عليهم مطراً ، فساء مطر المنذرين » النمل والشعراء .

أما المقام فى آية يس فهو مقام تحذير إجمالى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من تكذيب الرسل ، وتنبيه تفصيلي إلى بعض آيات الله الكونية الدالة عليه سبحانه وعلى كمال قدرته وحكمته ، وجلال فضله ونعمته على عباده ، فكانت القرينة قوله تعالى : « ذلك تقدير العزيز العليم » في الآية ٣٨ : « والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم » .

والإشارة في « ذلك » هي طبعاً لكون الشمس تجري لمستقر ، أي لجري وغايته معاً لا لأحدهما وحده ، وغريب أن يكون غاب عن الفخر الرازي شمول التقدير للأمرين جميعاً ، إذ جعل اسم الإشارة راجعاً إلى الجري أو إلى المستقر على الاحتمال ، كما تراه في موضعه من الجزء السابع من تفسيره .

وكما دل التنكير على عظم شأن المستقر الذي تنتهي إليه الشمس في جريها الحقيقي فإنه أيضا قد سمح لأكثر المفسرين أن يذهبوا في معنى المستقر إلى ما يتفق وجرى الشمس الظاهري وتغير مواقعها في الشروق والغروب طوال العام ، وترددها في ذلك كل عام بين أقصى موقعين تبلغهما في الشتاء والصيف لا تتعداهما بحال ، فكل موقع من هذين الأقصيين هو لها مستقر في الشتاء مرة وفي الصيف أخرى ، هذا هو خبرما قاله الأكثرون ، ولولا تنكير « مستقر » ما استقام لهم هذا لأنهم يقررون أن الشمس إذ تبلغ أحد الموقعين تبدأ ترجع أدراجها حتى تبلغ الموقع الآخر في ستة أشهر وليس هذا باستقرار إلا على وجه مجازي يبيحه التنكير .

وفي المفسرين القدامى من قال : إنه لا استقرار للشمس في حركتها حتى يجيء يوم القيامة فتبطل حركتها وتستقر ، وهذا أقرب تفسير إلى الصواب لولا أن أهله قصدوا بحركة الشمس هذه الحركة اليومية الظاهرة الراجعة في الحقيقة إلى دوران الأرض حول محورها أمام الشمس والراجع اختلاف المشارق والمغارب فيها إلى اختلاف مواقع الأرض من الشمس في حركة الأرض السنوية ودورانها حول الشمس مرة في العام فهم طبعا لم يقصدوا الحركة الحقيقية العظيمة السرعة التي أثبتها العلم للشمس وأنبأ بها القرآن قبل أن يولد علم الفلك الحديث فكان ذلك القرآن معجزة علمية كبرى ينبغي أن يتذكرها دائما كل مسلم مثقف ويجعلها نصب عينيه ليزداد بها يقينا : أن القرآن من عند الله حقا ، وليعرف من اقتناع أن ليس هناك شطط ولا تكلف في المطابقة الصحيحة الدقيقة بين يقينيات العلم وكونيات القرآن .

فهذه المطابقة ، بالصورة التي رأيت في هذا المقال والذي قبله ، قد بينت صنوفا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من الإعجاز فى آية يس لا يكاد الإنسان يقضى حقها عجبا ، آية من أربع كلمات تحوى فى كلمتين معجزة علمية : (والشمس تجرى) ، وتحوى فى كلمتين أخريين (لمستقر لها) نبوءة مذهلة ستتحقق من غير شك لأنها قرينة المعجزة العلمية الصادرة عن فاطر الشمس سبحانه ؛ ثم تحوى فى الكلمات الأربع إعجازا بلاغيا فى مراعاة مقتضى الحال ، إذ تتحمل فى كل من شطريها تأويلا يتفق مع الظاهر للناس من حركة الشمس حتى يهتدى بها الناس جميعا ، من عرف سر هذه الحركة النسبية ومن لم يعرف ، من عرف هذا السر اهتدى به وبالمعجزة العلمية التى حوتها الآية ، ومن لم يعرف اهتدى بموافقة الآية للحركة التى يرى.

• • •

ودوران الأرض حول محورها ودورانها حول الشمس : ما موقف القرآن منهما ؟ وهل فيه دلالة عليهما ؟

إن هذا التساؤل ليس فيه افتيات كما قد يظن بعض من يخشى أن نحمل آى القرآن ما لا تحتمل ، بل هو تساؤل ينبغى أن يكون . إن الله قد أنبأ بالحركة الذاتية للشمس ليكون فيها وفى الإنباء بها آية للناس ، فمن المعقول أن يدل الله فى كتابه على الحركة الذاتية للأرض التى يخلق بها سبحانه هذه الحركة الظاهرة للشمس ، ليكون فى الدلالة على حركة الأرض فى القرآن الكريم آية أخرى للناس تهدى إلى الله وتشهد للقرآن مرة أخرى : أنه حقا من عند الله ، فقد لبث الناس عامتهم وخاصتهم قرونا بعد نزول القرآن ، وهم يعتقدون أن الأرض ثابتة لا حراك بها إذ ليس للأرض حركة محسوسة فى الظاهر كحركة الشمس النسبية من المشرق إلى المغرب التى فسرها فلاسفة اليونان تفسيرهم الذى خطأه علم الفلك الحديث من جميع الوجوه .

وفى الحق أن هذا المعقول أن يكون قد كان فعلا فى القرآن ، ففى القرآن الكريم دلالات متعددة على حركة الأرض بنوعيها جاءت عن طريق الإشارة ، لا صريح العبارة مراعاة لمقتضى الحال فى خفائها وعدم إحساس الناس بها ، فلو أن القرآن العزيز صارحهم بحركة الأرض وهم يحسونها ساكنة لكذبوه وحيل بينهم وبين هدايته ، فكان من الحكمة البالغة ومن الإعجاز البلاغى فى الأسلوب أن ينبه الناس فى كتاب الله إلى آيته سبحانه فى حركة الأرض حول محورها وفى حركتها حول الشمس بمختلف الإشارات إلى نتائج كل من الحركتين ، مما هيهم بها وحثا لهم على اكتشاف أسبابها .

ومن أعجب مظاهر المن والحث مجتمعين القسم : قسم الخالق سبحانه بمخلوقاته حين غفل الناس عن آياته فيها لما تعودوا وألفوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منها حتى غطت العادة والألفة على مواقع النعمة ومواطن الحكمة ومواضع العبرة فيما خلق لعباده ، فإذا أقسم الله سبحانه فى كتابه العزيز بالليل وبالصبح وبالضحى وبالنهار أفلا يكون فى هذا أكبر داع لهم أن يتأملوها ويتساءلوا : ماذا أودع الله فيها من مجالى حكمته ومظاهر عظمته وقدرته حتى استحقت أن يقسم لعباده بها وهو خالقهم وخالقها ؟ فإذا بحثوا وعرفوا أنها ناشئة عن حركة للأرض فى كل يوم أمام الشمس ، أفلا يكون فى ذلك القسم دليل إلى تلك الحركة .

على أن الله سبحانه لم يجرد القسم من إشارة تدل على طبيعة السر الذى أودع فى المقسم به . فقد وصف الليل عند القسم به بالإدبار تارة : (والليل إذ أدبر) فى قراءة نافع وحفص ومن إليهما ، (والليل إذا دبر) فى قراءة أكثر القراء العشرة[1] ، ووصفه بالإقبال والإدبار كليهما فى قوله تعالى (والليل إذا عسعس) لأن الفعل معنـــاه : أقبل ظلامه أو أدبر كما فى القاموس ، ووصفه بالسرى فى سورة الفجر : (والليل إذا يسر) فى قراءة أكثر العشرة وقفاً ، (والليل إذا يسرى) فى قراءة ابن كثير ومن إليه . وكلها أوصاف تقتضى الحركة وهى كناية عجيبة عن حركة الأرض اليومية لا تفهم على حقيقتها إلا إذا تذكرنا أن الظلمة هى الأصل فى جو الأرض فى النصف غير المقابل للشمس ، وإلا إذا تصورنا الأرض تدور حول محورها دورة فى اليوم من المغرب إلى المشرق أمام الشمس ليتعاقب فيها الليل والنهار على كل مكان فى الأرض على جانبى خط الاستواء إلى قريب من القطبين .

ومن عجيب أمر القسم بالصبح وبالنهار فى القرآن الكريم أنهما لم يوصفا بإقبال ولا بإدبار ، لأن ذلك لو كان لما جاء بمعنى جديد إذ هو لازم حتما من إدبار الليل وإقباله ، ولكنهما وصفا بالوصف الخاص بهما ، الناشئ عن سلوك الضوء ، ضوء الشمس فى الغلاف الهوائى المحيط بالأرض ولوجه فيه تدريجا عن طريق الانكسار فى طبقات الهواء العليا الأخف إلى طبقات الهواء السفلى الأكثف ، من الفجر إلى الإسفار ، ثم انتشاره بعلو طلوع الشمس تدريجا أيضا بالانعكاس على الأخص وبالانكسار أيضا حتى يعم النهار ولولا الغلاف الهوائى ما كان هنـــاك فجر ولا صبح ولا إسفار فى أول النهار قبل طلوع الشمس ، ولا شفق فى آخر النهار بعد غروبها ، فليس شىء من ذلك بكائن على القمر مثلا بعد أن فقد هواءه لضعف جاذبيته الناشىء

(١) عن كتاب البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة للشيخ : عبد الفتاح القاضى شيخ معهد القراءات بالأزهر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عن صغر كتلته مع سرعة حركة الجزئيات في أي غاز .

من أجل ذلك جاء القسم بالصبح إذا أسفر بعد القسم بالليل إذا أدبر في سورة المدثر ، وجاء القسم بالنهار إذا جلى الشمس في الآية الكريمة (والنهار إذا جلاها) من سورة الشمس ، وليس على القمر نهار كالذي نعرفه على الأرض تتجلى فيه الشمس ، فسماء القمر تظل مظلمة في نهاره الطويل طول نصف شهره عندنا ، كما هو الحال في نهارنا أيضا إذا علونا الغلاف الجوي بهوائه وسحبه كما استنتجه العلماء من أن الضوء لا يرى بذاته ولكن بالانعكاس عن المرئيات ، وكما شاهده طيارو الفضاء حين داروا بهم القمر ات الصناعية حول الأرض أعلى من غلافها الجوي بكثير .

ومن عجب أن هذا الذي يستنتجه العلماء وشاهده طيارو الفضاء من ظلمة السماء قاطبة بالنهار إذا علونا الأرض وتجاوزنا غلافها الهوائي ـ هذه الحقيقة التي لم يكن ليصدق بها أحد من قبل قد دل عليها القرآن المجيد صراحة في كلمتين هما (وأغطش ليلها) في قوله تعالى: (أأنتم أشد خلقا أم السماء ؟ بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) فالضمير في (ليلها) راجع إلى السماء التي تتكلم الآيات الكريمة عنها وحدها ، فالله سبحانه ينبئنا أنه أظلم ليل السماء لا ليل الأرض ، ومع ذلك فقد فات المفسرين دلالة هذه الإضافة ، وهم معذورون إذ صرفوها إلى ما يعرفون من هذا الليل ، وجعلوها من المجاز ولو لزموا النص ودلالته لاهتدوا إلى حقيقة عجيبة غريبة أنبأ بها القرآن ولم يحققها الإنسان إلا منذ سنوات لما بدأ عصر الفضاء هذا ، فأثبت بذلك من حيث لا يدري معجزة علمية أخرى للقرآن ليس إلى جحودها سبيل .

فإذا ما تجاوزنا القسم وإشارته واستزدنا من الدلالة على حركة الأرض اليومية في القرآن وجدناها في قوله تعالى : (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) في الآية (٥٤) من سورة الأعراف . فالمغشى يصح أن يكون الليل أو النهار لأن التعبير يحتملهما كما يقول الزمخشري ، وإذن فهو يشملهما إذ لو كان أحدهما هو وحده المغشى لا الآخر لجاء التعبير القرآني نصا في ذلك لا يحتمل غيره ، لأنه كلام الخالق سبحانه لا كلام مخلوق يجوز أن يأتي لفظه أضيق أو أوسع من المعنى الذي قصده ، وإذن فكل من الليل والنهار يطلب الآخر طلباً حثيثا بإذن الله كي يغشاه حتى يغشاه ، ثم يكون ذلك على وجه التجدد المستمر كما تفيده صيغة المضارعة في الفعلين مع الحالية في الفعل الثاني . فتأمل معي جلال هذه الكلمات القرآنية الخمس كيف صورت أدق تصوير تلك الظاهرة الكونية العجيبة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ظاهرة زحف النهار إثر الليل حالا محله من طرف ، وزحف الليل إثر النهار حالا محله من الطرف الآخر فى كل بقعة من بقاع الأرض أثناء دورتها اليومية حول نفسها أو حول محورها أمام الشمس نتيجة لذلك الدوران الذى يدل على عظم جلاله وجماله مرجع الضمير فى قوله تعالى (يغشى الليل النهار) .

ثم هذا لدوران نفسه قد دل القرآن عليه بما يكاد يكون نصا صريحا فى قوله تعالى : (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) فى الآية (الخامسة) من سورة الزمر ، والتكوير اللف واللى ، يقال : كار العمامة على رأسه وكورها ، كما يقول الزمخشرى فى تفسيره . إلا أنه جعل يلتمس لذلك معنى مجازيا لما غاب عنه ما ظل مجهولا للناس أجمعين لقرون بعده من أن الله سبحانه يلف الليل على النهار بلف محورى حقيقى للأرض التى هى محل الليل ، ويلف النهار على الليل بلى حقيقى لأشعة ضوء الشمس فى غلاف الأرض الهوائى الذى تملأه الظلمة وهى تدور . وفى الفعل (يكور) المكرر مرتين فى الآية الكريمة معجزة علمية أخرى ، إذ قد دل بوضوح على كروية الأرض بكروية جوها الذى يشغله ويتعاوره الليل والنهار على التجدد فى كل بقعة من بقاع الأرض . وفى هذا غناء عن الاستشهاد بكلمة (دحاها) فى قوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) فى الآية (٣٠) من سورة النازعات .

فإن احتجت إلى مزيد من الدلالة فى القرآن على الحركة اليومية الأرض فأنت واجد حاجتك بإذن الله فى قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون) ومعنى الكلمات الأربع الأولى ظاهر مما تقدم ، فلا محل للإشكال الذى ذكره الفخر الرازى أما الشاهد فهو فى الكلمات الأربع الأخرى : (وكل فى فلك يسبحون) وقد جاءت فى إثر الأربع الأولى كما ترى فهى تشمل الليل والنهار المذكورين فيها ، كما تشمل الشمس والقمر المذكورين فى مفتتح الآية الكريمة : (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون) من سورة يس . فالليل والنهار يسبحان فى فلك ، لكل فلك يدور فيه ألا وهو فلك الأرض أو بالأحرى فلك جوها الذى يدور بدورانها مرة حول محورها أمام الشمس كل يوم .

أما حركة الأرض السنوية حول الشمس ففى القرآن الكريم دلالتان عليها على الأقل : إحداهما عن طريق الإشارة إلى أثرها فى الليل والنهار من حيث تداخل أحدهما فى الآخر من جهة الطول والقصر على تتابع الفصول الناشئة عن تلك الحركة ، وذلك فى مثل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قوله تعالى : « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » فى الآية (١٣) من سورة فاطر . وقوله تعالى : « ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » فى الآية (٢٩) من سورة لقمان . وقوله تعالى : « ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » فى الآية (٦١) من سورة الحج . وتكرار المعنى هكذا فى آيات متعددة توكيد له من ناحية ، وتنبيه من الله لعباده أن يتطلبوا سر هذه الظاهرة الكونية التى يحسونها من ناحية أخرى . والسر هو فى تلك الحركة كما عرفها الفلكيون والجغرافيون خاضعة للسنن الكونية الثلاث المعروفة بقوانين « كبلر » لدوران السيارات حول الشمس ، ولقانون الجاذبية العامة التى كشفها وكشف قانونها « نيوتن » .

أما الدلالة الثانية فهى أهم لأنها إشارة تكاد تكون فى صراحة عبارة تنص على أن للأرض حركة غير حركتها اليومية . تلك هى دلالة قوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء » فى الآية (٨٨) من سورة النمل .

والسحاب ، كما هو معروف لا يتحرك بذاته ولكن يتنقل محمولا على الرياح ، فكذلك الجبال يراها الرائى فيظنها جامدة فى مكانها وهى تمر مسرعة محمولة أيضا . وليس لها حامل إلا الأرض . فالأرض إذن هى المسرعة بها كما تسرع الرياح بالسحاب ، وكلا الأمرين صنع الله الذى أتقن كل شىء . فالاستنتاج فى الواقع قريب غير بعيد ، يسره الله لأهله بذلك التشبيه العجيب الذى دل أو ينبغى أن يدل الناظر إلى أن فى حركة الأرض الحاملة للجبال من آيات الله ومن المنافع لعباده ما يشبه الآيات والمنافع التى أودعها الله فى حركة الرياح الحاملة للسحاب ، والتى نوه الله بها فى آيات كثيرة من كتابه الحكيم .

وليس عجيبا أن يفوت المفسرين جميعا هذا المعنى على قربه لان يعرف ما أثبته العلم للأرض من حركة حول الشمس ، لأنهم - رحمهم الله - لم يكونوا يعرفون أن الارض حركة ما ، لا يومية ولا سنوية . ومن هنا صرفوا المعنى عما يقتضيه المفعول المطلق فى الآية الكريمة وما يستلزمه قوله تعالى : « صنع الله الذى أتقن كل شىء » من أن الظاهرة التى لفت الله إليها الإنسان فى قوله : « وترى الجبال ... » الآية . هى ظاهرة كونية فيها من إتقان الصنع ما يدل على جلال حكمته وقدرته سبحانه ، وما ينافى ما سماه قدامى المفسرين نقضا لسنن الله فى الكون يوم القيامة أو بين يدى يوم القيامة ، من نسف الجبال نسفا إلى آخر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما نطقت الآيات القرآنية المتعلقة بالساعة وأشراطها والزمخشري وحده هو الذي أدرك بذوقه البياني عدم التلاؤم بين قوله تعالى (صنع الله الذي أتقن كل شيء) وبين ما سيحل بالجبال بين يدي الساعة، فقدر محذوفا يليق في رأيه بذلك الصنع المتقن إذ قال: والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال (صنع الله) يريد به الإثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب، إلى آخر ما قال مما رفضه غيره مثل أبي حيان في تفسيره ونسبه إلى مذهب الزمخشري في الاعتزال.

ولو صرف الزمخشري وأبو حيان ما نعرفه اليوم من دوران الأرض حول الشمس بتلك الكيفية الباهرة، وما يحكمها من تلك السنن الإلهية الدقيقة القاهرة. وما يترتب عليها من المنافع للناس إذن لكبروا الله ولسارعوا إلى المعنى المتبادر من الآية ومن تشبيهها التمثيلي ومن القرائن الحسية والبلاغية فيها، وليفهموا الخطاب في (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) على أنه خطاب للإنسان الآن وفي كل عصر آت يدله على آية من آيات الله الكبرى عله يهتدي بها إلى الله، كما دله في الآية التي قبلها بآيتين على مثيلة أو مثيلات لها تهدي إلى الله أو من شأنها أن تهدي إليه سبحانه وهي قوله تعالى: (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون). والسياق ودلالته ينبغي على الأقل أن يشمل هذه الآية ودلالتها فيما يشمل، وإذن تسقط حجة المحتج بأن آية (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وكل أتوه داخرين) في موضعها بين الآيتين، تشهد لمن يجعل آية الجبال خاصة بما يتعلق بالجبال من أحداث يوم القيامة.

وبعد، فإن من لطيف المناسبة أن تشير آية (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) إلى ظاهرة تنشأ عن إحدى حركتي الأرض، وأن تشير آية (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) إلى الحركة الأخرى تلك الإشارة الواضحة العجيبة: ومن حكمة الله البالغة أن جعل بين الآيتين آية تتعلق بيوم البعث لتصرف الأذهان بها عن المعنى الذي لم تكن لتعقله قبل أن يأذن الله بالكشف عن سنة الله في حركة الأرض حول الشمس كسيار من السيارات التي أقسم الله بها، تنبيها إلى آياته فيها، إذ يقول سبحانه: (فلا أقسم بالخنس، الجواري الكنس) في الآيتين (١٥، ١٦) من سورة التكوير)؟

محمد أحمد الغمراوي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

آذان الفجر فى بلاط الشهداء

للأستاذ محمد رجب البيومى

« تروى الأساطير التاريخية أن صوت الأذان الإسلامى قد ظل يسمع عند الفجر بساحة بلاط الشهداء مائة عام ، وأن حمائم بيض كانت ترفرف ساعتئذ ويراها الناس » .

يروح الحجا هذا الأذان المحير ... من الأرض ، يتلى أم لدى الخلد يذكر
تخيلته من جنة الخلد صادحا ... وإلا فما هذا الأريج المعطر
يضيء به الفجر ائتلاقا على الربى ... كأن شعاع الفجر صبح منور
ترددده الأرواح نشوى كأنما ... لها قبل يوم الحشر فى الفجر محشر
تنزل من عليا السماء وضيئة ... كأوسمة من سدة العرش تنثر
حمائم ليست كالحمام وإنما ... يرف مع الورقاء روح مطهر
تراقبها فى الفجر تهبط من على ... فتخشع إجلالا لها حين تنظر
ترى الأفق مزهواً بها متخايلا ... تصفحنه الحمراء ورد منضر
وكانت دماً يوم الوغى فتفتحت ... ورودا بها عطر الشهادة يبهر
كأن نسيم الفجر يحمل عطرها ... شذاً كاد منه الميت فى القبر ينشر
حمائم جنات النعيم هديلها ... هتاف بترداد الأذان مكرر
أبت أن تمس الأرض مساً ، وإنما ... لها فنن فى الخلد ريان أخضر
دنت ذات طوق فى احتفاء لأختها ... تذكرها الأمس القريب فتذكر
تسائلها : ماذا أصاب هداتنا ... فضلوا سبيل الحق والنهج مسفر
أتيناهمو بالنور يهدى شعاعه ... ملايين فى ظلماتها تتعثر
شعوباً بأوربا تكاثف جهلها ... وكاد دجاها فوقها يتحجر
لقد ألفوا الليل البهيم فإن يروا ... مشاعل ضوء تطمس الليل يذعروا
أتيناهمو كالأصدقاء وعندنا ... من الدين والأخلاق سفر مسطر
لهم مالنا لا نبتغى أن نذلهم ... فما فى بنى الإسلام من يتجبر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عليهم جميعا ما علينا ، وإنها ... سواواة دستور يطاع فيأمر
إذا نزل الغيث الروى فكلنا ... سنهل منه إذ يفيض فيغدر
ألم يشرب الطغيان بغياً دمامهم ... فهم فى سطاه كالسوائم تنحر
شراذم أميون إلا قساوسا ... إذا استظهروا الإنجيل لم يتدبروا
ترون قذارات الجسوم فضيلة ... مقدسة ، يا ويل من يتطهر
معاذ الهدى أن نسلب القوم دينهم ... مراغمة ، بل راشد يتخير
لديه طريق الحق ، إن يستجب له ... مضى قدما فيه ، وما ثم مجبر !
فياليتهم قاموا لرشد يقودهم ... إلى حيث ينجو بالرشاد مفكر
ثعابين فى الأحراش يرشح سمها ... تحكم فيها أفعوان مسيطر
دعاها إلينا ، شارل مرتل ، فارتمت ... كطوفان موج خلفه يتحدر
أتينا نميط الشر عنها فصدها ... عن الخير شر فى النفوس مقرر
لهم صرخات بالعراء كأنهم ... نمور بأدغال تصيح وتزأر
تردوا جلود الوحش فى الكون فاغتدى ... لهم نسب عند الوحوش مؤصر
شعور تعم الجسم والوجه أرسلت ... عليهم ففيها القذارة مظهر
إذا غمر الشعر الكثيف صدورهم ... تجلى من الإنسان ذئب مصور
ولما تلاقينا ودرى هتافنا ... يشق عنان الأفق : الله أكبر
ولما ترائينا ولاحت سيوفنا ... تضيء مثار النقع والجو أكدر
تجلت لجيش الغافقى مهابة ... وتم له مرأى بديع ومخبر
وخاضت خيول الله فى ساحة الوغى ... تجدل ما شاء الكفاح وتأسر
ولاح بريق النصر يومض فجره ... وبعد هنيهات يفيض فيبهر
رأوا حتفهم يدنو فراموا مكيدة ... تقوم مقام الحرب والكيد أقدر
سرت صيحة أن الغنائم هوجمت ... ففر من الميدان قوط وبربر
لئن حسبوا فقد النضار خطورة ... لقد جلبوا العار الذى هو أخطر
لقد كشفوا الإسلام ، لولا عصابة ... رأت أن وعد الموت حتم مقدر
وأن لقاء الله أنفس مأرب ... لمستشهد يلقى الجنان فيؤجر
ولم أر مثل الغافقى قد انبرى ... ومقلته من جاحم الغيظ تسعر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بعاظمه استشهادنا فتأججت مواجده ، وانقض غضبان يثأر
تيوم هوت فيه الشوامخ وهبة فلا صرح إلا مائل يتعثر
تزين به الصرعى أكاليل عزة فيا مصرعاً فيه الأكاليل تضفر
مشوقا تصبته الشهادة فارتقى لها ، وحياه من البشر يزهر
وكان مرد الموت سهلا ، فلم يشأ فرارا ، وأنى ، وهو فى الروع قسور
لئن كان فى الدنيا أميرا فإنه كذاك أمير فى الجنان مؤمر

* * *

ورفت عليها من قريب حمامة تسامرها ، والطير فى الخلد يسمر
يهيب بها : كفى ملامك عنهمو فنحن عن الجانين نعفو ونغفر
لقد جهلوا ما نفتديه من الهدى وكل جهول لا محالة يعذر
ولو درسوا أخلاقنا لتقدموا إلينا على شوق ، ولم يتأخروا

* * *

فصاحت بها : أختاه ، لم يخف ديننا عن الناس ، وهو المستفيض المشهر
ألم يسألوا ، الأسبان ، عما نرومه وهم إخوة ، إن يسألوا الرأى أخبروا
ألم تك أسبانيا مباءة فيلق يعيث بها الإقطاع مهراً فيفجر
أليس رقيق الأرض فيها شراذما مع الطين تشويها السياط فتصهر
طغى النبلاء المتخمون على الورى فكل نبيل فى التجبر قيصر
يسير وأحراس الرقيق تحوطه وما منهمو إلا الذليل المسخر
وأخرى من الكهان عز دواؤها تسيل جراحا بالمكيدة تنفر
لقد شرهت سود العمائم والحى لدن أيقنت : أن الكنائس متجر
إذا فاض بالشكوى أجير معذب تلوا نص إنجيل به يتخدر
شرور تلظت نارها فلوى بها من الفاتحين الأريحيين عسكر
أحالوا ديار القوط فردوس جنة ترعرع فيها العلم المقحضر
مدارس للتثقيف فاضت حياضها وطوفانها الجياش بالعلم يزخر
محاكم للحق النزيه تسودها مساواة شرع بالعدالة يجهر
مصحات طب ينتحيها أخو الضنى فينشط لا يثنى خطاه مكدر

(البقية على الصفحة التالية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

خاتمة المطاف

للأستاذ علي الخطيب

العفة هبة المرأة التي بها تعز ، والحب مطلبها الذي به تسعد ، وجلال حياتها أن يتوج عفافها بحب تنعم به ، ويشيع فيها الثقة والاحترام

وإذا كان الرجل تقوده عيناه إلى الجمال فإن عقله يدفعه إلى العفة ، وتبلغ سعادته القمة حين يطمئن لوجودهما معاً في إنسانة فيسكن إليها سعيداً ، ويهواها دواماً ، والرجل الشرقي — بخاصة — إذا فقد العفة في المرأة لا يجذبه جمالها في الغالب ، وإنما يبحث من جديد ، ويفضل العفة في النهاية ، ويضحي بالجمال ، لما استقر في نفسه من « شرف » البيت ، والشغف بالولد والحرص على تربيته فالعائلية عميقة الجذور في نفسه ... تتكامل شخصيته بوجودها ، ويرتاح بتحقيقها .

ولقد فتن الشرق من بعد الغرب ... فتنته حرية المرأة ...

(البقية على الصفحة السابقة)

حدائق تكسوها الرياحين بهجة ... وأدواحها اللفاء تزهو وتثمر

ولو لم تتح للناس أندلس لما ... غدا لجمال الكون في الكون منظر

ولو لم تتح للناس أندلس لما ... غدا لسمو الفكر في الناس مظهر

تحرر شعب من براثن قيده ... وأعجب بوثب الشعب إذ يتحرر

وعاد وقيق الأرض للأرض سيداً ... له من نداها كوثر يتفجر

ألم يسألوا الأسبان هنا فيعرفوا ... رسالتنا ، إن صاح بالشك منكر

ردنا ارتقاء بالمذكيد للذرى ... فأمكن منهم نحسهم فتدهوروا

• • •

ومرت هنيهات فطارت لأوجها ... حمائم ، كانت نشوة تتخطر

قضت ساعة الذكرى وخفت لأيكها ... وقد تسعد اللذات من يتذكر

دعا ما إلى الفردوس رضوان فاغتدت ... لمقعد صدق في ربى الخلد يؤثر

وما زال في سمعي ، وقد غاب طيفها ، ... يرن هتاف الفجر : الله أكبر

محمد رجب البيومي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

خاتمة المطاف

للأستاذ علي الخطيب

العفة هبة المرأة التي بها تعز ، والحب مطلبها الذي به تسعد ، وجلال حياتها أن يتوج عفافها بحب تنعم به ، ويشيع فيها الثقة والاحترام

وإذا كان الرجل تقوده عيناه إلى الجمال فإن عقله يدفعه إلى العفة ، وتبلغ سعادته القمة حين يطمئن لوجودهما معاً في إنسانة فيسكن إليها سعيداً ، ويهواها دواماً ، والرجل الشرقي — بخاصة — إذا فقد العفة في المرأة لا يجذبه جمالها في الغالب ، وإنما يبحث من جديد ، ويفضل العفة في النهاية ، ويضحي بالجمال ، لما استقر في نفسه من « شرف » البيت ، والشغف بالولد والحرص على تربيته فالعائلية عميقة الجذور في نفسه ... تتكامل شخصيته بوجودها ، ويرتاح بتحقيقها .

ولقد فتن الشرق من بعد الغرب ... فتنته حرية المرأة ...

(البقية على الصفحة السابقة)

حدائق تكسوها الرياحين بهجة ... وأدواحها اللفاء تزهو وتثمر

ولو لم تتح للناس أندلس لما ... غدا لجمال الكون في الكون منظر

ولو لم تتح للناس أندلس لما ... غدا لسمو الفكر في الناس مظهر

تحرر شعب من براثن قيده ... وأعجب بوثب الشعب إذ يتحرر

وعاد وقيق الأرض للأرض سيداً ... له من نداها كوثر يتفجر

ألم يسألوا الأسبان هنا فيعرفوا ... رسالتنا ، إن صاح بالشك منكر

ردنا ارتقاء بالمذكيد للذرى ... فأمكن منهم نحسهم فتدهوروا

• • •

ومرت هنيهات فطارت لأوجها ... حمائم ، كانت نشوة تتخطر

قضت ساعة الذكرى وخفت لأيكها ... وقد تسعد اللذات من يتذكر

دعا ما إلى الفردوس رضوان فاغتدت ... لمقعد صدق في ربى الخلد يؤثر

وما زال في سمعي ، وقد غاب طيفها ، ... يرن هتاف الفجر : الله أكبر

محمد رجب البيومي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وليس المهم أن نتساءل ... عن فلسفة هذه الحرية ... وإنما نحن سنمر هنا بواقعها واقعها المرير الذى نفرت منه ... أخيراً ... المرأة ...

لقد بدت المرأة الغربية تملأ علينا خيالنا بحوريات الجنان ... حين خطرت فى بلاد الشرق سافحة ... أو بدت على « الشاشة » مشخصة ... أو ماست بـ « الأزياء » عارضة جميلة إذا سترت جسدها ، أو حسرت عن جيد ، أو كشفت عن ساق ... تبدو فى ذلك كله « حرة » تختار ما تريد (وتهوى) من تشاء ، (وتسكن) إلى من تختار .

واستخدمت أدوات التزيين الغربية فجرت على وجهها ظلالا ، ورموشاً ، وألوانا .

وجذب الفن شعرها ... وأبدع تشكيله ، وزوده بقلانس ذوات شعور مختلفة العقص والاسترسال ... تتوزع مع أوقات الليل والنهار يصاحبها ملبس أنيق ، وعطر خلاب ... يتجدد بذلك كله مطلعها حتى كأن الواحدة منهن سبع نساء ...

وخطرت من قبل ذلك وبعده إلى معاهد الرقص فخفت حركتها ، ورشق هيكلها ... وفى معاهد التجميل ... ألقت بشحمها ، واختصرت سنها ، واكتسبت نضارة الوجه وجمال القوام علق ، وضايها الثوب فأبرز هذا الجمال ، أو فضفض فماج بلدانة جسدها وأثار الخيال .

واغتبط الرجل فى كل أنحاء الدنيا !

ولم (يقوّم) هذا المظهر الجميل بمقدار ما طرح فى بيت الزوجية من (سعادة) أو بنى من (خلق) ... أو قدم من (تربية) . ولكنه (قوم) فى سطحية انطباعات مشاعره حين رؤياه هذا الجمال المشرق ... والملبس الفاتن .. والجرأة القاهرة .

وكان الشرق ورجاله - إلا من عصم الله - أول من عمى فأخطأ التقويم ، واعتبر هذا « المظهر » عنوان التقدم ... فنادى به ... وصرخ فى وجـــه من تصدى الطريق ... وبعد جيل ... نادى بعضهم : الشرف شىء ، والجنس شىء آخر .

وكانت المرأة فى الشرق قد بهرت بهذا المظهر ، وكانت فتنته على أعصابها قاهرة ، وزت منها الحكمة ، ووأدت منها البصيرة ، وغالبا ما كان الرجل بجوارها يهوى ذلك ... فاندفعت تقلد ... وتبدع ... وسارت فى الطريق . طريق ملىء بالجمال ... فواح بالعطر ، لكن أرضه سنر فوق بركان ، غامض بغير معالم ... متشعب الأنحاء ... ملتوى الاتجاهات ... تتقصف فيه السائرات ، وكم ضاعت فيه نساء بعد أن ضيعن كل شىء ... وذهبن دون دمعة وداع ... أو رثاء حبيب ، تبق أو ذكرى فى نفس زوج ... أو عطف تمتلىء به روح ولد ... وفطنت المرأة الغربية التى بدأت بفتح الطريق ... حين انتهت إلى آخره ... فارتدت منه بوجه حزين انسابت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منه الدموع ... وعلته الغبرة ... وبدا عليه الجهد والذلة ... خاوية اليدين ... تلتفت إلى ماض مظلم كئيب ... ولا تجد أمامها مستقبلا يشرق بأدنى أمل ، فالتفتت إلى أخواتها ... أخواتها الذليلات ... يطلبن محاولة أخيرة ، وقد كان ...

لقد كان أقسى شيء على نفسها أن تهون على المجتمع نفسه ... وتفقد فيه النصير ... فلا رجل أخلاق ... ولا مصلح اجتماع ... يمد يداً ... وقد نبذ الكل قضيتها ... وكان واضحا لها ... أن الرجل قد استغلها حين ظنت هي أنها قادرة على كل شيء ... وأنها لن تكون غريرة بيد الرجال ... ونسيت أن أخواتها يدرن حول رجلها مثيرات ... وفيهن خير منها ... ولهن نفس الحرية ... وعندهن نفس الثقة ... وينشدن نفس الطلب ... وكان الصراع وسقطت المرأة ، وملأت المدن أطفالا غير شرعيين ، وأصبحت مدينة لندن بالذات يولد بها طفل غير شرعي بين كل سبعة أطفال شرعيين ، وتدفقت الفتيات الحوامل على المدينة حيث يمكنهن إخفاء الفضيحة في زحام العاصمة ، كما يقول دكتور ستيوارت مدير إدارة الرعاية الطبية بلندن (١) .

وزحفت المشكلة إلى آخر مكان يمكن أن يتصور إنسان أن تهبط فيه ، فدور العلم حصن الأخلاق ... استسلمت بدورها للإغراء .. وانقادت الشهوات ، وانهارت حياة سيمانة طالبة بجامعة شيفيلد صرعى النزق ، فأسرع طبيب الجامعة يصرف لهن حبوب منع الحمل بعد أن ارتفع عدد الأطفال غير الشرعيين الذين تنجبهم الطالبات بمعدل اثنى عشر طفلا سنويا (١) .

ولا يمكن أن يكون « علم النفس » هو سبب ذلك كله ، فالعلم ذو وقار ، وإذا كان علم النفس يعترف بضرر « الكبت » ويقر آلام « المراهقة » ويعترف بمشاعر « النقص » فإنه أيضا غير عاجز عن وضع الحلول القيمة الضعيفة التي تخفف الكبت ، وتساعد المراهق وتزيل مشاعر النقص ، وتقيم قواعد الأخلاق الكريمة .

في الحق إنه ليس العلم ... ولكنها .. فتنة العلماء ... !

تلك الفتنة التي واصلت سيرها حتى اقتحمت أدمغة المشرعين في مستوام « الوطن » العالي فأعدوا في الدانمرك : « مشروع قانون ينص على اعتبار جريمة الزنا غير كافية للحصول على الطلاق ، وقد تم وضع مشروع القانون بعد دراسة استمرت سبع سنوات قامت بها لجنة حكومية من خمسة أعضاء ، وتهدف

(١) الأهرام ١٢/١٠/١٩٦٥ . وكالات الأنباء ص ١ ع ٨ .

(١) الأهرام ١٧/٢/٦٥ ص ١ ع ٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من ذلك إلى إيجاد تشريع مشترك للزواج بين الدول الخمس : الدانمرك ، والنرويج ، والسويد ، وفنلندا ، وإيسلندا ، (١) .

فهل أعجب ذلك المرأة التى قطعت الطريق وذاقت ثماره ، ربما لو تخلت عن عقلها جانبا لصرخت مغتبطة بما حازته فى هذا القانون ، ولكنها على العكس ، ضاقت بذلك كله ، وشعرت بالهوان ، ولم تستسلم للطعم ، ورفضت فى شمم هذه النهاية ، التى تستوى فيها بالأنعام وأحست :

أنه لا يمكن بعد ذلك أن تجد رجلا يجلها عن إخلاص، ويشاركها حياتها فى غبطة ويسكن إليها فى حب ، وهو يعلم يقينا : أن هذه المرأة يمكن أن تغرر بحبه ، وتهوى غيره ، وتستسلم لهذا الغير ، وتعطيه الجسد والفؤاد دون أن يكون لزوجها عليها حق الطاعة أو حق العفاف ... بله كرامة الشرف وصيانة اللقب ... ويعنى هذا أن تفقد المرأة فى طريق حياتها (الأمين) الذى يستقيم بجوارها بعد والديها ... إلى نهاية الحياة .

وأنه لا يمكن بعد ذلك أن تطمع فى ولد تخصه بحبها ، وتطرح عليه من كرامتها ، وقد فر الزوج خوفا من ضياع الشرف ، ولوثة الولد ... ورأت المرأة الغربية الحديثة أنها ستمضى وتخلف دنياها لا كجداتها - اللواتى بنين الأسرة من ثلاث طبقات : الوالدين . والأبناء ... والأحفاد ... فى نزاهة وشرف لا ... ستمضى دون أن تضع لبنة ... حتى فى الطبقة الأولى .

وثارت ضيقة بهذا كله ، وحملت الصحف صباح ٢٤ / ٤ / ١٩٦٥ ثورتها . ونقلت أخبار اليوم عنوانها :

« مظاهرة نسائية احتجاجا على الحرية الجنسية فى السويد » .

وقد شملت ثورة النساء السويديات أنحاء البلاد احتجاجا على إطلاق الحريات الجنسية فى بلادهن .. وتقدمن باحتجاجهن إلى المسئولين ، وبلغن فى استكهولم وحدها نحو مائة ألف امرأة .

إن نساء السويد بالذات يتوقعن الكارثة ويحسسن بها أكثر من الأخريات .. لقد بلغن قمة الحضارة .. والمساواة .. ولم يعطين الوطن أطفالا .. وتلك نكبة السويد التى يتناقص عددها عاما بعد عام ... فحق للمرأة أن تسترد من الذين سلبوها بالخداع كل شىء - حقها فى حياة كريمة شيئا بعد شىء . ونحن نقول لهذه المرأة بالغرب : سدد الله خطاك .. وربما قالها رجال فى الشرق ... للمرأة الشرقية بعد مئات السنين ... حين ينتهى بها الطريق وتأتى خاتمة المطاف .

على الخطيب

مجمع البحوث الإسلامية

---

(١) الأهرام ٢١/١٢/١٩٦٤ ص ٥ ع ٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دسائس اليهود

للأستاذ محمود محمد شبكة

رحب اليهود في المدينة بالضيف القادم والنزيل الوافد، ولم يكن هذا الترحيب ناتجا عن شعور بالكرم، أو إحساس بالمروءة، وإنما كان مرده ومبعثه أن اليهود ظنوا محمدا صلى الله عليه وسلم الرجل الذي يمكن أن يستمال، والداعي الذي يمكن أن يستغل.

ظنوا أنه من الممكن أن يتحالفوا مع الرسول ضد النصرانية التي أجلتهم عن أرض الميعاد (فلسطين) ومن أجل ذلك هشوا لاستقباله وخفوا للترحيب به، وقد بادلهم الرسول تحية بتحية، ووثق صلته بهم وتقرب إليه رؤساؤهم وكبراؤهم بوصف أنهم أهل كتاب موحدون، وعقد معهم معاهدة صداقة وتحالف فيها تقرير لحرية العقيدة وحرية الرأي.

وقد كانت هذه المعاهدة الملزمة والمعاملة الحسنة كفيلة بأن تستل الأحقاد من نفوسهم وتنزع الضغينة من قلوبهم لو أن نفوسهم كانت صافية، ولكن أنى لليهودي أن تصفو نفسه، ويستريح ضميره، وهذه دعوة محمد تفتح لها مغالق القلوب، ويدخل فيها الناس أفواجا، وقد بدأت القلة تكثر، والسلطان يعظم، والنفوذ الروحي يمتد، لقد كان اليهود يؤملون الاستعانة بمحمد على النصارى، وإذا بمحمد أقوى من هؤلاء وأولئك.

حينئذ تحرك داؤهم القديم، وظهر حقدهم الدفين، وبخاصة حين أسلم عبد الله بن سلام وهو حبر من أحبارهم، وبدءوا يحاربون الرسول وصحبه بالجدل والدس والوقيعة، ويرجون من وراء ذلك أن تنحل الرابطة وينفرط العقد، وتتفرق الجماعة، ولكن هيهات هيهات، لقد أحكم الإسلام الرابطة، ووثق الألفة، وصفى النفوس.

مر يهودي يدعى شاس بن قيس على نفر من الأوس والخزرج وهم مجتمعون فغاظه ما هم فيه من ألفة ومحبة فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد وما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار، وجاء إلى شاب من اليهود فقال له: اغمد إليهم، فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث، وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار، ففعل الشاب، فتكلم القوم عند ذلك، وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة، ونادى هؤلاء: يا آل الأوس ونادى هؤلاء: يا آل الخزرج، ثم خرجوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

للحرب ، وقد أخذوا السلاح ، واصطفوا للقتال ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فيمن كان معه من المهاجرين فقال : يامعشر المسلمين : الله الله . اتقوا الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم إلى الإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر ، وألف بين قلوبكم » . حينئذ أدرك القوم أن ما حدث كان دسيسة يهودى فبكوا ، وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج ، ونزل فى شاس بن قيس وأمثاله قول الله تبارك وتعالى : « قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا ، وأنتم شهداء ، وما الله بغافل عما تعملون » . ونزل فى شأن الأنصار قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله ، وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

ولقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يتحدث إلى يهودى يسمى فنحاص ويدعوه إلى الإسلام ، فرد عليه فنحاص هذا بقوله : والله يا أبا بكر ما لنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه أغنياء ، وما هو عنا بغنى ، ولو كان غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ، ويعطيناه ، ولو كان غنيا ما أعطانا ! يشير اليهودى ، إلى قوله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » .

لكن أبا بكر على ما كان عليه من دماثة خلق ، وطول أناة لم يطق صبراً على هذا الجواب فثارت حفيظته واشتد غضبه وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا ، وقال : والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت رأسك يا عدو الله ، وشكا فنحاص أمره إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأنكر ما قاله لأبى بكر فنزل قوله تعالى « لقد سمع الله قول الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء . سنكتب ما قالوا ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول : ذوقوا عذاب الحريق » .

ولقد بلغت باليهود الجرأة والوقاحة أن حاولوا فتنة الرسول نفسه حينما ذهب إليه أحبارهم وسادتهم وقالوا له : إنك قد عرفت أمرنا ومنزلتنا ، وإنا إن اتبعناك اتبعك اليهود

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولم يخالفونا ، وإنا بيننا وبين قومنا خصومة فنحتكم إليك فتقضي لنا فنتبعك ونؤمن بك فنزل فيهم قوله تعالى « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم . وإن كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون .؟! ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟ » .

ولم يقف الأمر باليهود عند هذا الحد بل حاول بنو النضير اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم حينما ذهب إليهم يستعينهم فى دية قتيلين ، ولكن الله سبحانه وتعالى حفظه من كيدهم ونجاه من شرهم كذلك انضم بنو قريظة إلى المشركين فى غزوة الأحزاب بغية القضاء على المسلمين كما حاولت زينب بنت الحارث قتل الرسول بعد أن وقع الصلح بينه وبين أهل خيبر بأن أهدت إليه شاة مسمومة ، فجلس وأصحابه حولها ليأكلوها وتناول عليه السلام الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ، وكان بشر بن البراء قد تناول منها مثل ما تناول الرسول ، فأما بشر فأساغها واز دردها وأما الرسول فلفظها وهو يقول: إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ثم دعا بزينب فاعترفت ، وقالت : لقد بلغت من قومى ما لم يخف عليك . فقلت : إن كان ملكا استرحت منه . وإن كان نبيا فسيخبر .

أما بشر فقد مات من أكلته هذه ، وكان لهذه الفعلة أثرها العميق فى نفوس المسلمين إذ جعلتهم يخشون غدر اليهود فرادى بعد أن تخلصوا منهم جماعات .

ويقول الأستاذ محمد خليفة التونسى فى كتابه « الخطر اليهودى » : (اليهودى يهودى قبل كل شىء مهما تكن جنسيته ومهما يعتنق من مبادىء وعقائد فى الظاهر ليخدم باعتناقها نفسه وأمته فهو يتجنس بالجنسية الأمريكية أو الإنجليزية أو الفرنسية ويؤيد جنسيته طالما كان ذلك فى مصلحته اليهودية فإذا تعارضت المصلحتان لم يكن إلا يهوديا فعضد يهوديته وضحى بجنسيته الأخرى ، واليهودى ، يسلم أو يتنصر نفاقا ليفسد الإسلام والمسيحية أو يوجه تعاليم هذا الدين الجديد وتقاليده وجهة تعود بالخير على اليهودية أو يبث روح المروءة لهم ، والعطف عليهم) .

وهذا الكلام ينطبق تماما على شخصين كلاهما كان له خطره الفاحش وضرره البالغ فقد أسلما تظاهرا وخداعا أولهما : كعب الأحبار ، وثانيهما : عبد الله بن سبأ ، أما كعب فهو من يهود اليمن أظهر إسلامه حينما تضاءلت اليهودية فى بلاد اليمن ، ورأى الإسلام ينمو ويزدهر وتقفزو دعوته الآفاق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أسلم ليجد لحقده منفساً ولسمومه مجالا .

والمحققون من الباحثين يؤكدون اشتراك كعب الأحبار فى مقتل عمر ، أو على الأقل كان يعلم بالمؤامرة التى دبرت لاغتيال خليفة رسول الله ، ويستدلون على ذلك بالحديث الذى دار بينه وبين عمر بن الخطاب قبل وفاته حينما هدده أبو لؤلؤة ، وقال له : لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ، ثم انصرف عنه ، فقال عمر : لقد توعدنى العبد آنفاً .

فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال: يا أمير المؤمنين . أعهد ، فإنك ميت فى ثلاثة أيام ، فقال : وما يدريك ؟ . قال : أجده فى كتاب الله التوراة ، فقال عمر : الله إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ، قال : اللهم لا ، ولكن أجد صفتك وحليتك وأنه قد فنى أجلك وعمرك ليس وجعاً ولا ألما .

فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار وقال له : يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقى يومان ، ثم جاءه من غد الغد وقال : ذهب يومان وبقى يوم وليلة ، وهى لك إلى صبيحتها . فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة فطعن

فهل يشك أحد بعد ذلك فى أن لهذا الرجل علما تاما بالمؤامرة ، ومعرفة أكيدة بالوقت المحدد لاغتيال عمر ، إن التوراة مقروءة متداولة وليس فيها شىء مما قاله كعب عن صفات عمر .

والتوراة كتاب أنزل ليبين للناس أحكام الدين وأصول الشريعة لا ليتحدث عن وفاة رجل لم يكن خرج إلى الحياة بعد .

ويقول الخضرى رحمه الله : (لو كنت ممن يحقق فى هذه القضية ما ترددت لحظة فى أن لكعب يداً فى مقتل عمر ، أو أنه كان عالما بما تم عليه الاتفاق بين المتآمرين) ، وقد استطاع كعب أن يفيض علينا ثروة واسعة من الأخبار الإسرائيلية التى هى فى حقيقتها محض كذب وافتراء والعجب أن كثيراً من علماء المسلمين تقبلوا هذه المفتريات بقبول حسن دون معرفة لحقيقتها ودراية بمصادرها .

أما عبد بن سبأ فهو ابن أمة سوداء ولذلك لقب بابن السوداء ، وهو من يهود اليمن كذلك ، أسلم فى أيام عثمان بن عفان ، ثم استغل الفتنة وصار يتنقل فى الأمصار يحرض على الخليفة ، ويغرى به ، ويذيع عنه قالة السوء ، ذهب إلى البصرة فأخرجه منها عبد الله بن عامر حينما علم بحقيقة أمره ثم ذهب إلى الشام فأخرجه معاوية فاتجه إلى مصر ، وفيها وجد من يساعده على بدعه ومكائده ، فكان يتحدث إلى الناس بأن النبى محمدا أحق بالرجعة من عيسى ويذكر قوله تعالى : « إن الذى فرض عليك القرآن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لرادك إلى معاد » ، وكان يقول : إن لكل نبي وصياً وعلي وصي محمد ، وعلي خاتم الأوصياء ، كما أن محمداً خاتم الأنبياء ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصيه ، ومنعه حقه ، وتناول أمر هذه الأمة بغير الحق .

ثم قال : إن عثمان اغتصب الأمر بغير الحق من صاحبه (علي) فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس . ثم أخذ ينتقص من أقدار الأئمة ويذم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ولما بلغ ذلك عليا قال : مالي ولهذا الحميت الأسود الذي يكذب على الله ورسوله ، ثم يقوم إلى علي وهو يخطب فيقول له : (أنت أنت) فيقول له علي : ويلك من أنا . فيقول : أنت الله . ومن هنا بدأ فكرة تأليه علي ، وقد أمر أمير المؤمنين بقتله بعد أن سمع منه هذا الكلام . ولكنه اكتفى بنفيه إلى المدائن .

هؤلاء هم اليهود في مؤامراتهم ودسائسهم وحقدهم على الإسلام وأهله ، وعلى الرسول وصحابته . وما زالوا حتى يومنا هذا وحتى يرث الله الأرض ومن عليها يواصلون مؤامراتهم ومكائدهم . فقد استطاعوا بمساعدة الاستعمار الاعتداء على شعب مسالم وادع هو شعب فلسطين . وأخرجوه من بلده ظلما وعدوانا ، وارتكبوا في سبيل ذلك من المخازي والفضائح ما يندى له الجبين ولم تقف أطماعهم عند هذا الحد بل امتدت أبصارهم إلى توسيع الرقعة وتشجيع الهجرة والتمكن في الأرض والإضرار بالعرب ففكروا في تحويل مجرى نهر الأردن علماً بأنه ليس لليهود أي حق سياسي أو قانوني في تحويل هذا النهر . فإن القانون الدولي ينص على أنه لا يحق لأية دولة من الدول المشتركة في مجرى نهر واحد أن تحول مجرى هذا النهر بحيث يتسبب عن هذا التحويل إضرار بالدول الأخرى المشتركة فيه [1] .

ولكن متى اعترفت إسرائيل بالقانون ؟ ومتى أقرت المعاهدات واستجابت للنداء ؟ ولذلك جاءت قرارات العرب في مؤتمر القمة الأول والثاني ضربة قاضية ولطمة قاسية أطاحت بأمل إسرائيل وأفسدت خططها وأحبطت مؤامرات اليهود ؛ بل وقربت من نهايتهم وعلى نفسها تجني براقش ؟

محمود محمد شبكة

---

(١) نهر الأردن والمؤامرة الصهيونية ص٢٠٧.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تمبكتو

أقدم مراكز الإسلام فى غرب إفريقية

للأستاذ محمد جلال عباس

مقدمة :

على أحد المدرجات الجنوبية للصحراء الكبرى ، وعلى ارتفاع يبلغ نحو ٢٦٠ مترا فوق سطح البحر تقع مدينة « تمبكتو » ، على بعد بضعة كيلو مترات من رأس المنحنى الشمالى لنهر النيجر (نيل السودان كما سماه الجغرافيون العرب) تحيط بها رمال الصحراء الكبرى من الشمال ، ويصلها ذراع من النهر يحف بجنوبها . يجرى بالمياه الدافقة فى فصل الفيضان وتستمر به المياه سائر فصول السنة ولذلك أصبحت تمبكتو توصف بأنها ميناء الصحراء ، وذلك لأنها ملتقى الإبل بالقوارب.

كانت هذه المدينة هى أول مركز ازدهر بالثقافة الإسلامية فى غرب إفريقية ، بدأت بالإسلام ، وازدهرت بثقافته ، وأصبحت مركزا لنشره ، ومحط أنظار الراغبين فى علومه ثم أصابها الاضمحلال ، ولكنها أخفت بين جدرانها نورا أشعته فى فترات مختلفة ، ثم أخذ الازدهار يعود إليها فى ظل جمهورية « مالى » المستقلة .

وسوف نتناول فى هذا المقال دراسة لنشأة المدينة وتاريخها وتطورها ونشير إلى أمجادها الإسلامية .

أسطورة حول تسمية المدينة :

اتخذ قوم من الطوارق موقع التقاء الرمال بماء نيل السودان مضربا لخيامهم فى فصل الجفاف التام حيث كانوا يجدون السقاية لإبلهم وأغنامهم ، واعتادوا ذلك كل عام ، وظلوا هكذا عشرات السنين ، وحدثنى بهذا الحديث بعض شيوخ المدينة ، وقد اتفق أكثرهم على أن زعيمها من زعماء عشيرة الطوارق « المقشرن »(١) . رأى يوما على شط النهر حسناء من قبائل « الصنغاى » شديدة السمرة جميلة الجسد ، كانت تمتاز بين بنات قبيلتها بأن موضع الحبل السرى مقطوع قطعا سليما لم يخلف بروزا بل كان غائراً مثل « البكت » (٢) ، فأعجب الزعيم الطارقى بجمالها وأحبها ، وقرر الإقامة

---

(١) تحريف لكلمة المقشرن أى البيض لأن الطوارق كانوا شديدى بياض البشرة .

(٢) بكت فى لغة الصنغاى معناها الصحن الصغير

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الدائمة هناك من أجلها ، وأقام له بالموقع أول بناء ثابت من اللبن ليقطنه بجوار ديار عشيقته .

وقد قال البعض : إن هذا الأمير الطارقى قد استرق هذه الفتاة ، وقال آخرون : إنه قد تزوجها بعد أن دخل أهلها الإسلام ، وقالت جماعة أخرى : إنه حاول خطفها فقتلت فى المعركة ، ولكن الذى أجمعوا عليه هو أن صفة هذه الفتاة (ذات الصحن) أو بلغة الصنغاى (سن بكت) قد أطلقت على المدينة تذكارا لهذه الحسناء التى من أجلها بنى أول بيت فى المدينة ونما العمران من حوله . وهذا هو الاسم الذى عرفت به المدينة لدى الكتاب العرب الأوائل .

نشأة المدينة ونموها :

يتفق حديث تسمية المدينة ذلك مع ما ذكره عبد الرحمن السعدى فى تاريخه من أن الموقع كان منزلا لبعض رعاة الصحراء يلجئون إليه لرعى أغنامهم فى فصل الجفاف ويرحلون عنه فى الخريف (فصل المطر) ولما أصبح الموقع معروفا نشأت به سوق صغيرة . كان الطوارق يقايضون فيها أغنامهم بالحبوب التى يحملها الصنغاى فى قواربهم الصغيرة ، ثم عرف الموقع على مدى أبعد وكبرت المدينة ونمت وأضحت سوقا هامة يفد عليها التجار بطريق النهر ليلتقوا بقوافل الصحراء الآتية من الشمال

وقد تحولت الخيام التى كان يضربها الطوارق فى الموقع إلى أكواخ من الحشائش وفروع الشجيرات ثم تطورت إلى بيوت مبنية من قوالب اللبن فى أوائل القرن الثانى عشر (١).

وجاء انتقال المدينة من مرحلة النشأة الأولى إلى مرحلة النمو فى عهد المرابطين الذين أشاعوا فى الصحراء وأطرافها بعض الاستقرار ثم ازدادت أهميتها كمركز تجارى خلال القرن الثالث عشر بازدياد حركة النقل على طرق القوافل التى كانت تصلها بالشمال وأهمها طريق مراكش الذى كان يعبر الصحراء شمالا مارا : بأروان ، وتاودنى ، وتغازا ، ثم يعبر جبال الأطلس إلى مراكش وطريق الشرق الذى كان يتجه من تمبكتو إلى « أجادس » ثم شمالا إلى واحة مرزوق فى الصحراء الليبية حيث كان يصل إلى مصر شرقا أو إلى طرابلس شمالا ، وكان فرع منه يتجه إلى « كانو » ومنها إلى بداية طريق الأربعين فى الفاشر ثم إلى مصر أيضا (٢).

وعلى هذه الطرق كان ينقل إلى تمبكتو الملح والأقمشة من الشمال ومن الصحراء ، ويصدر منها الذهب الذى اشتهرت به بلاد السودان وتعتبر تجارة الملح من العوامل الهامة التى ساعدت على ازدهار مدينة تمبكتو فى خلال القرنين : الثانى عشر والثالث عشر ؛ وذلك لأن منطقة النيجر كلها كانت تعتمد على الملح الوارد من تغازا التى تبعد نحو ٦٠٠ ميلا شمال غربى تمبكتو .

(١) فيج ص ١١٦ .

(٢) فيترجيرالد (والتر) ص ٤١٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكادت أهمية تمبكتو تضيع كمركز تجارى حينما استولى ملوك مراكش على منطقة مناجم الملح فى تغازا لولا أن اكتشفت مناجم جديدة للملح فى « تاودنى » الأقرب إلى تمبكتو مما سهل نقله إليها وعوضتها بذلك تاودنى خيرا من مناجم تغازا .

ومن العوامل التى ساعدت على ازدهار تمبكتو كمركز تجارى هو ضم منطقتها إلى مملكة مالى ثم إلى امبراطورية الصنغاى حيث كانت غالبية صادرات هاتين المملكتين من الذهب والعاج والأخشاب الثمينة والجلود هى السلع المطلوبة فى المغرب ، وكانت تمبكتو تصدر هذه السلع مقابل الملح والأقمشة المطرزة والجلود المصنعة والأوانى الفضية وغيرها من السلع الثمينة التى كانت تستخدم فى بلاط الملوك ، وكذلك الخيول التى كانت من مظاهر الأبهة والعظمة فى هاتين المملكتين.

اكتساب المركز الدينى والعلمى

ولقد ارتبط ازدهار المدينة كمركز تجارى باكتسابها مركزاً دينياً وعلمياً هاما ، إذ سرعان ما اقتفى العلماء أثر التجار فأخذوا يشخصون إليها من المغرب الأقصى والأندلس ؛ بل ومن مصر ، وغدامس ، وطوات ، وتافيلت وغيرها (١) .

وجاء انتقال مركز نشاط الثقافة الإسلامية إلى تمبكتو تدريجيا ، ذلك أن بعض العلماء والدعاة أقاموا فيها منذ نشأتها ، غير أن مركزها كمكعبة للعلوم الإسلامية لم تكتسبه إلا منذ القرن الرابع عشر ، ولقد مرت حركة انتقال مركز الثقافة العربية والإسلامية إلى تمبكتو بالمراحل التالية :

١ — نزل أبناء قبيلة جدالة الذين كانوا يعتبرون فقهاء الصحراء فى منطقة « ادرار موريتانيا » حيث اتخذوا كومبى أو قنبى مركزاً لهم ، وظلوا فى كومبى سنين طويلة يستقبلون الراغبين فى دراسة الفقه وعلوم الدين ليتخرجوا على أيديهم مبشرين بالإسلام ومعلمين لقواعده الصحيحة فى البلاد الأخرى وقد نزل بعض هؤلاء التلاميذ مع الطوارق المقبلين إلى تمبكتو منذ فجر نشأتها ، وكانوا من عشيرة تسمى السوك توارثت علوم الدين والعربية حتى يومنا هذا فى تمبكتو وجاد وغيرها من مدن شمال مالى

٢ — فى خلال القرن الثالث عشر استولت قبائل « السوسو » على « كومبى » فسادت بها الاضطرابات التى أدت إلى هجرة علماء وفقهاء جداله منها إلى المدن المجاورة ومنها « والاته » وتمبكتو ، ولكن نصيب والاته من العلماء فاق بكثير نصيب تمبكتو فظلت والاته تحتل مركز الصدارة والتفوق نحو نصف قرن من الزمان (١) .

(١) السعدى ص ٢٢ .

(١) يوفيل ص ٨٩ — ٩٠

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

استطاع أن يخضع تمبكتو وينفذ أمر السلطان المنصور محمد بأن يأتيه بعلمائها أسارى مكبلين ، وكان أن نقل علماء تمبكتو وعلى رأسهم أحمد بابا إلى البلاط المراكشي حيث أرغمهم السلطان على التفرغ لكتابة ما يعلمون ويحفظون من علوم ، وعاشوا هكذا في فاس متفرغين لإحياء العلوم فيها .

ونقل المغاربة أيضا ما كان في تمبكتو من كتب ورسائل مما وقعت في أيديهم .

وبذلك فقدت تمبكتو مركزها العلمي وعاشت قرنا كاملا من الفوضى والاضطراب في عهد باشوات مراكش ولكنها احتفظت بين جدرانها ببعض العلماء الذين كانوا يتابعون الدراسة والدرس سرا .

ومضات النور

وتتابع في بلاد السودان الغربي ظهور ممالك إسلامية نهض بها زعماء القبائل الكبيرة مثل : البامبارا ، الذين كونوا مملكة السيجو بزعامة كالاديان كوليبالي (١٦٥٠ - ١٦٨٢) الذي حاول ضم تمبكتو ولكنه لم يستطع فاكتفى بفرض الجزية على باشواتها ، ثم استطاع « إنجولو ديارا » أحد أحفاده بعد نحو قرن من الزمان أن يستولي عليها سنة ١٧٧٠ (١) .

وقد شجع ديارا وورثته العلماء على الظهور من مخابئهم للإفتاء في أمور الدين ، ونشر العلم والتبشير بالإسلام بين من لم يعتنقه من أبناء القبائل .

وخلف البامبارا في حكم تمبكتو ملوك الفولاني وأهمهم : سيكو أحمدو (١٨١٠ - ١٨٤٤) الذي استطاع أن يستولي على تمبكتو ، وشجع علماءها ، واعتمد عليهم في بعض الفتاوى ، وخاصة الشيخ احمد البكاوي الذي كان بينه وبين سيكو أحمد رسائل كثيرة وخلافات فقهية عديدة (١)

وفي سنة ١٨٣٣ استطاع الحاج عمر الفوتي أن يكون أمبراطورية أخذ يوسع أراضيها حتى شملت تمبكتو التي استولى عليها سنة ١٨٦٢ وشجع على إحياء علوم الدين فيها بل واستعان ببعض رجالها مثل : الحاج البكاي انقيني في نشر الإسلام على الطريقة القادرية بين بعض القبائل الوثنية مثل الدوجون والتوكولور (٢) .

ثم أتاها الاستعمار :

في ذلك الوقت من القرن التاسع عشر كان الفرنسيون يتقدمون من الجنوب ومن الغرب إلى بلاد السودان ، وقد اتخذ الحاج عمر من تمبكتو قاعدة خلفية لهجومه المضاد على الفرنسيين الذين كانوا قد استولوا على مدينة كاي ، غير أن مقاومته هو وأبناؤه قد خارت أمام القوات الفرنسية خاصة وأنه

(١) روبرت كورنيفان ص ٢٦٩

(١) فيدمنت مونتي ص ٩٠

(٢) روبرت كورنيفان ص ٢٦٥

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لم يكن قد استطاع تحقيق الاستقرار الكامل فى أرض مملكته ، وظل الفرنسيون يتقدمون فى أراضى السودان الغربى (مالى) فاستولوا على باماكو سنة ١٨٨٣ ثم استولوا على سيجو عاصمة مملكة الحاج عمر سنة ١٨٩١ وهاجموا تمبكتو آخر قواعد الحاج عمر الخليفة سنة ١٨٩٤ ، ولكن المعركة أمامها بين الفرنسيين وبين أحمدو بن الحاج عمر الذى كان أبوه قد عينه على هذه المدينة استمرت سنة كاملة دخل الفرنسيون بعدها المدينة بعد تخريبها وفرار الكثير من أهلها إلى الصحراء .

ورغم المحاولات العديدة التى قام بها الفرنسيون للقضاء على الشخصية الإسلامية للمدينة إلا أن تمبكتو ظلت محتفظة بطابعها الإسلامى ، ونجح العلماء والمشايخ فى أن يحافظوا على العلم والدين بالمهادنة أحيانا وبالتلويح بالثورة والتهديد أحيانا أخرى وقد اضطر الفرنسيون أمام فشلهم فى سياستهم الصريحة أن يتبعوا طرق الخداع فأنشأوا فيها مدرسة عربية سنة ١٩١٦ وأدخلوا فيها الفرنسية تدريجياً حتى طغت على العربية وأصبحت العربية فيها لغة أجنبية ، وكان قصدهم من ذلك هو جذب بعض أبناء القبائل من الحسانية والحراطين والصنغاى إلى التعليم الحديث وإبعادهم عن التعليم الدينى فى مجالس المساجد وخلوات الفقهاء وبيوت العلماء (١) على أن مجالس العلم الخاصة والعرافين كانت تجذب كل أبناء القرية فظلت المدرسة على ضخامة بنائها وضخامته لا تضم إلا عددا صغيراً من التلاميذ من أبناء الموظفين الذين يعملون فى المدينة .

وأيضا حاول الفرنسيون عزل تمبكتو عن العالم الإسلامى ، ولكن لم يستطيعوا ، فقد ظل علماء تمبكتو على اتصال دائم بعلماء الجزائر ، بل واتصلوا بمصر أيضا فى عهد جمال الأفغانى ومحمد عبده وخلفهم السيد رشيد رضا ، وكانوا على صلة أيضا بجمعية الشبان المسلمين ، وكان بعض أبناء المدينة يأتون إلى مصر للدراسة سيرا على الأقدام آلاف الكيلو مترات ويعودون حاملين كتب السلفية والكتب الحديثة التى طورت علوم الدين هناك .

اليوم والغد :

بهذا الاستعراض لتاريخ تمبكتو نرى أنها نشأت بالإسلام وازدهرت به وحافظت عليه ، وهى اليوم أهم مركز للثقافة العربية فى جمهورية مالى ، اتخذتها الحكومة بعد الاستقلال مركزا لنشر الثقافة العربية فدعمت المدرسة العربية بها وجعلت اللغة

(١) فرجينا تومسون وريتشارد أدولف ص ٤٢٩

(البقية على الصفحة التالية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مايقال عن الإسلام

العروبة والاسلام

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

١ ــ فرانشسكو جبريلى يعد عميد المستشرقين فى إيطاليا فى الوقت الحاضر ، وهو أستاذ الأدب العربى واللغة العربية بجامعة روما ، له عدة كتب وكثير من البحوث والمقالات فى المجلات المتخصصة ، ومن هذه الكتب « الخليفة هشام » (صدر سنة ١٩٣٥) ، و « قصة الأدب العربى » (روما ١٩٥١) ، و « مظاهر من الحضارة العربية الإسلامية » : عبارة عن مجموعة محاضرات ألقيت براديو إيطاليا ١٩٥٧ ، وأخيراً كتابه عن « العرب » صدر باللغة الإيطالية سنة ١٩٥٧ ، وترجم إلى اللغة الفرنسية ، وطبع سنة ١٩٦٣ فى باريس ، وهو معجب بالعرب ، والمسلمين ، منصف لهم ، يجيد العربية ويعرفها كأحد أبنائها ، ويتمثل بآيات من القرآن الكريم ، ويأبى أن يترجمها إذ يبدو أن رأيه فى القرآن أنه لا يترجم ، ومن الآيات التى استشهد بها فى مقدمته « فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » كل ما فى الأمر أنه كتبها بحروف لاتينية لا بالرسم العثمانى .

والقضية التى يعرض لها جبريلى فى هذا الكتاب الصغير الحجم قضية خطيرة حقاً ، لم ينقطع الحديث عنها منذ ظهور الإسلام

(البقية على الصفحة السابقة)

العربية إجبارية فى جميع مدارسها بل ومدارس الأقليم الشمالى كله ، واتخذت منها فى الصيف الماضى مركزا لتدريب معلمى اللغة العربية من الوطنيين وتأهيلهم تأهيلا تربويا على أيدى أساتذة من مصر ، ليكونوا نواة لنشر اللغة العربية ـ لغة الإسلام الذى تدين به الغالبية العظمى من السكان .

وبذلك تخطو تمبكتو فى عهد مالى المستقلة نحو استعادة بعض أمجادها الماضية كمركز إشعاع الثقافة العربية والإسلامية فى إفريقية الغربيه .

فهى بحق كما وصفها عبد الرحمن السعدى المدينة الوحيدة فى العالم التى « ما دنستها عبادة الأوثان ، ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن » ؟

محمد عبدول عباسى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مايقال عن الإسلام

العروبة والاسلام

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

١ ــ فرانشسكو جبريلى يعد عميد المستشرقين فى إيطاليا فى الوقت الحاضر ، وهو أستاذ الأدب العربى واللغة العربية بجامعة روما ، له عدة كتب وكثير من البحوث والمقالات فى المجلات المتخصصة ، ومن هذه الكتب « الخليفة هشام » (صدر سنة ١٩٣٥) ، و « قصة الأدب العربى » (روما ١٩٥١) ، و « مظاهر من الحضارة العربية الإسلامية » : عبارة عن مجموعة محاضرات ألقيت براديو إيطاليا ١٩٥٧ ، وأخيراً كتابه عن « العرب » صدر باللغة الإيطالية سنة ١٩٥٧ ، وترجم إلى اللغة الفرنسية ، وطبع سنة ١٩٦٣ فى باريس ، وهو معجب بالعرب ، والمسلمين ، منصف لهم ، يجيد العربية ويعرفها كأحد أبنائها ، ويتمثل بآيات من القرآن الكريم ، ويأبى أن يترجمها إذ يبدو أن رأيه فى القرآن أنه لا يترجم ، ومن الآيات التى استشهد بها فى مقدمته « فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » كل ما فى الأمر أنه كتبها بحروف لاتينية لا بالرسم العثمانى .

والقضية التى يعرض لها جبريلى فى هذا الكتاب الصغير الحجم قضية خطيرة حقاً ، لم ينقطع الحديث عنها منذ ظهور الإسلام

(البقية على الصفحة السابقة)

العربية إجبارية فى جميع مدارسها بل ومدارس الأقليم الشمالى كله ، واتخذت منها فى الصيف الماضى مركزا لتدريب معلمى اللغة العربية من الوطنيين وتأهيلهم تأهيلا تربويا على أيدى أساتذة من مصر ، ليكونوا نواة لنشر اللغة العربية ـ لغة الإسلام الذى تدين به الغالبية العظمى من السكان .

وبذلك تخطو تمبكتو فى عهد مالى المستقلة نحو استعادة بعض أمجادها الماضية كمركز إشعاع الثقافة العربية والإسلامية فى إفريقية الغربيه .

فهى بحق كما وصفها عبد الرحمن السعدى المدينة الوحيدة فى العالم التى « ما دنستها عبادة الأوثان ، ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن » ؟

محمد عبدول عباسى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حتى اليوم ، وهى قضية الصلة بين العروبة والإسلام ، أهما شيء واحد أم شيئان مختلفان ، وإن كانا مختلفين فما حقيقة الخلاف بينهما ؟ وما هى المواضع التى تلتقى فيها العروبة والإسلام .

وقد برزت هذه القضية فى الأيام الأخيرة منذ ظهور نغمة القومية العربية ، تلك الموجة التى امتدت حتى شملت الناطقين بالضاد من الخليج إلى المحيط ، وبعبارة أخرى : الدول التى تضمها جامعة الدول العربية .

ونحن نعلم أن كثيراً من المفكرين وذوى الرأى وأصحاب القلم كتبوا فى القومية العربية وانقسموا فريقين : أحدهما يقرر أن العروبة التى تنادى بها فى الوقت الحاضر لا صلة لها بالدين ، إسلاميا كان أم مسيحيا ، والآخر يذهب إلى أن أهل هذه المنطقة لظروف تاريخية أصبح الإسلام جزءاً لا يتجزأ من كيانهم ، ولذلك امتزجت العروبة والإسلام فى حضارتهم ، فاتخذوا من العربية لسانا ومن الإسلام دينا .

وكاتب هذه السطور من هذا الفريق الثانى وله فى هذا الموضوع كتاب بعنوان « القومية العربية » صدر منذ بضع سنوات .

وقد أعجبنى الأستاذ : فرانشسكو جبريلى لأنه يلتقى معى فى هذا الرأى ، ويدافع عن هذه الوجهة من النظر بأدلة رائعة ، وقبل أن نبسط رأيه نقول : إن الكتاب يقع فى ثمانية فصول الأول : عن العرب قبل الإسلام والثانى : محمد والإسلام والثالث : الخلفاء الراشدون والفتوحات الإسلامية ، والرابع : الأمبراطورية العربية ، والخامس : الأمبراطورية الإسلامية ، والسادس فى العرب والمغرب ، والسابع : فى العرب والترك ، والثامن : فى تأخر العرب والنهضة الحديثة ، ويتضح من تسلسل هذه الفصول على النحو المذكور أن العروبة فكرة ينظر إليها فى هذا الكتاب فى ضوء الأحداث التاريخية التى مرت عبر الزمان منذ الجاهلية إلى ظهور الإسلام وانتشاره وتكوين الأمبراطورية العربية الكبرى فى العصر الأموى ، ثم فى صدر الدولة العباسية وبعد ذلك أخذ الإسلام يستقر وينتشر بعيدا بعض الشيء عن العروبة حتى أصبح السلطان الأخير للترك ، وأخيراً عادت القومية العربية إلى الظهور ، مما نعيش فيه بالفعل .

٢ — وليس ثمة نزاع فى أن أى باحث يتعرض للعروبة من زاويتها التاريخية لا بد له أن ينظر فى حال العرب فى الجاهلية ، أى قبل الإسلام ، من جهة موطنهم الجغرافى والبيئة الصحراوية التى كانوا يعيشون فيها وظروفهم السياسية التى أوجبت عليهم الاتصال بالفرس من جهة والروم من جهة أخرى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهما أعظم دولتين متصارعتين فى ذلك الزمان ، وحياتهم الروحية وعباداتهم من وثنية منتشرة بين معظم قبائلهم ، يعبدون الأصنام ، إلى جانب فرق من النصارى واليهود ، وحياتهم الاقتصادية واشتغالهم بالتجارة بين اليمن والشام ومصر ووقوعهم على خط الطرق التجارية الوافدة من اقصى الشرق هذا إلى نمو لغتهم وشعرهم واحتفاظ هذه اللغة بالقيم الروحية والمثل العليا التى يمجدها العرب

وكل ذلك حسن ، إلا أنه كما يقول الأستاذ جبريلى (صفحة ٣٣) : إن أى حب رومانسى لماضى العرب لا يمكن أن ينكر هذه الحقيقة ، وهى أنه : لولا رسالة محمد ودعوته إلى الإسلام ، فإنهم كانوا فى أكبر الظن سيقبعون خلال عصور طويلة وسط صحرائهم تشغلهم الحروب القبلية وتفنى أبناءهم ، ويتطلعون إلى بيزنطة وفارس وكأنهما منارات بعيدة للحضارة لا يستطيعون بلوغها ، فلما جاء الإسلام إذا بهم يقرعون أبواب هاتين الدولتين قرعا عنيفاً بصوت الآمر النافذ الكلمة والسلطان . وهـــذا لا ينفى أن عرب الجاهلية كانت لهم خصال أصيلة من عشق الحرية ، وحفظ الجوار وإكرام الضيف إلى ما عرف عنهم من نخوة ومروءة ، مما قبله الإسلام ودعا إليه وأجازه

ومعنى ذلك أن الروح العربية سرت فى شرايين الدين الجديد دون أن تفقد شخصيتها فى هذا الدين ولكن الإسلام هو الذى علت كلمته وارتفع صوته من فوق منبر التاريخ .

٣ ــ ولا ينفصل الحديث عن الإسلام فى نشأته وظهوره عن التعرض لسيرة النبى عليه السلام ، ومن أجل ذلك عقد المؤلف فصلا خاصاً عن « محمد والإسلام » ، بدأه بقوله : « إن الإسلام ظاهرة مع أنه يتجاوز تاريخ العرب إلا أنه يستمد جذوره منهم ، وقد وجد فيهم وقت ظهوره القوة المحركة لانتشاره ذلك الانتشار الذى لم يتمكن أحد من صده . وظل الإسلام والعروبة قرنين من الزمان ـ من السابع الميلادى إلى التاسع الميـــلادى ـ صنوين ، وامتدت العقيدة الإسلامية فى قلب آسيا وعلى ضفاف حوض البحر الأبيض بسرعة سريعة ، حتى إذا اتضح أن ملكة الفتح وسلطان شعب واحد لا يتلاءمان مع انتشار الدين ، توقف هذا التلاقى بين الإسلام والعروبة ، ولو ظلت العروبة على الدوام إسلامية فى شمولها ، لسار الإسلام بين الشعوب بطرق أخر ، واحتفظ طابع من ذلك الجو العربى لا يمحى » .

وليس لنا اعتراض على ما قرره المؤلف ، اللهم إلا فى تقدير الزمن الذى بدأ الإسلام ينفصل فيه عن العروبة ، والرأى عندنا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن حركة المد العربى ظلت متوافقة مع حركة المد الإسلامى حتى القرن السادس الهجرى على الأقل، ثم بدأت موجة أخرى من التراجع العربى، مع استمرار المد الإسلامى، ويكفى أن نقرأ لأبى الريحان البيرونى - وهو فارسى - فى القرن الخامس الهجرى يقول ما فحواه: إن الهجو بالعربية أحب إليه من المدح بالفارسية، لنعلم أن العروبة كانت لا تزال مسيطرة على العالم الإسلامى فى القرن الخامس الهجرى، ولعل هذا يجرنا إلى تحديد معنى العروبة، فنقول: إنها لغة أولا وقبل كل شىء، فكل من يصطنع اللغة العربية لسانا فهو عربى، مسلماً كان أم غير مسلم، ولكن الظروف التاريخية جعلت معظم سكان المنطقة العربية من المسلمين فالتقى الإسلام بالعروبة على أرض الإمبراطورية الإسلامية، ويمكن أن يضاف إلى اللغة العربية المميزة للعروبة: الحضارة والآمال والآلام المشتركة، بل والدين باعتبار أن لغة الإسلام وكتاب المسلمين هو القرآن الذى أنزل بلسان عربى مبين، والذى أنزل قرآنا عربياً، ولذلك ذهب أغلب المسلمين، - وهو الرأى الراجح الذى نأخذ به - إلى أنه لا يجوز ترجمة القرآن، وإن جازت ترجمة معانيه، وأنه لا تجوز الصلاة إلا بقراءة القرآن بالعربية، وإن أفتت قلة قليلة من الفقهاء بجواز قراءة الفاتحة مترجمة، وعندنا أن هذا باطل، والدليل على ذلك: أن المسلمين فى صدر الإسلام لم يقبلوا الإسلام بغير العربية، فكانت النتيجة أن هذه اللغة أصبحت لغة عالمية، ورددها المسلمون من حدود الصين شرقا إلى الأندلس غربا، وكانت اللغة العربية إلى ذلك لغة الحضارة، ألفت بها العلوم المختلفة من طب وهندسة وفلك وغير ذلك..

ولكن النعرة الشعوبية، من الفرس تارة، ومن الترك تارة أخرى، ظلت تهاجم العروبة هجوماً لا هوادة فيه طوال قرون وقرون، حتى أفلح الفرس فى محو اللغة العربية من أرض إيران بحيث لا يتكلمها اليوم إلا رجال الدين فقط، أما بقية الشعب فيجهلونها جهلا تاماً، ونحن نخشى أنه على مر الزمن سيتحلل الشعب كذلك من إسلاميته، لأن الذى كان يربط المسلم بدينه هو القرآن العربى، ولم يعد القرآن بعد فقدانهم اللغة العربية هو القرآن الذى يؤثر فى النفوس، لأن قراءته مترجماً لا تحدث نفس الأثر.

٤ — هذه هى الدعوى الأساسية التى يبسطها المؤلف فى كتابه، نعنى المد العربى الإسلامى، ثم الجزر العربى على الرغم من انتشار الإسلام، إلى أن ينتهى إلى النهضة العربية الحديثة.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذا العرض الشامل التاريخي لابد أن يتعرض السياسة ، من جهة أن تفسير الحوادث التاريخية لابد أن يتضمن تفسيراً سياسياً ، من قيام دول ، وسقوط أخرى ، ونشوب حروب وما إلى ذلك ، ولما كان الكتاب صغير الحجم لم يكن من الميسور أن يتبسط في التأويلات السياسية ، فضلا عن أن السياسة ليست مقصودة عنده لذاتها ، وإنما غرض المؤلف أن يستعرض الحركة العربية ، منذ الجاهلية إلى الإسلام إلى العصر الحاضر ، في شتى مظاهرها الحضارية وبخاصة من جهة مظهرها الديني ، باعتبار أن الإسلام هو الذي صبغ العروبة وطبعها بطابع لا يمحى .

من أجل ذلك يجد القارىء عرضاً سريعاً جداً لحياة الرسول ، ودعوته ، وهجرته ، وغزواته ، وفتح مكة ، ثم النزاع على الخلافة بين الأنصار والمهاجرين ، وتولي أبي بكر الصديق ، ثم عمر بن الخطاب من بعده ، ومع الشيخين استقرت دعائم الإسلام ، وتمت الفتوحات الكبرى ، وانتصار العرب على الفرس والروم ، فلما تولى عثمان حدثت الفتنة الكبرى ، وقتل الخليفة الثالث ، وتولى علي بن أبي طالب فوجد أمامه مشاكل سياسية كحرب طلحة والزبير وعائشة ، ثم حرب معاوية وما انتهت إليه هذه الحرب من مقتل علي بيد الخوارج ، وبذلك انتهى عهد الخلفاء الراشدين ، وأصبح الملك مع معاوية ملكاً عضوضاً ، وتأسست الأمبراطورية العربية وكانت عاصمتها دمشق .

ويذكر المؤلف أن تاريخ الأمويين غامض وأنه زيف على يد العباسيين الذين كان الفرس من ورائهم ، وأن التاريخ الأموي يجب أن يكتب من جديد في ضوء العروبة ، حقا العباسيون عرب ، وخلفاؤهم يمتون بصلة إلى العباس عم النبي عليه السلام ، إلا أن النفوذ الفارسي بوجه خاص كان يحركهم ، إذ قامت الدعوة بخراسان ، وجند الفرس هم الذين انتصروا على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وكان الوزراء حتى خلافة الرشيد من البرامكة ، وهم أسرة من نبلاء الفرس ، مكنوا لأنفسهم في الأرض ، وأصبحت لهم دولة داخل الدولة ، حتى خشي الرشيد على سلطانه منهم ، ففتك بهم وقضى عليهم . ولكن الخلفاء بعد أن اتخذوا جندا من الأتراك ، ومن الفرس ، أصبحوا هم أنفسهم ألعوبة في يد القواد العسكريين ، ومنذ القرن الرابع الهجري بدأ نفوذ الترك يستشري ويتغلب على النفوذ العربي . وانقسمت الأمبراطورية إلى دويلات وتفككت الأمبراطورية ، على الرغم من ازدهار الحضارة الإسلامية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٥ — يفتتح المؤلف الفصل الأخير عن تدهور العرب ونهضتهم بقوله : إن سيطرة الترك التى استمرت على العرب منذ القرن السادس عشر الميلادى حتى العشرين ، والتى جاء الاستعمار الأوربى فى عقبها ، تتميز ببلوغ التدهور العربى أوجه ، ويبدو أن العرب انطووا على أنفسهم فى أول الأمر ، ورضوا بهذا المصير ، وخضعوا للشعب الأجنبى عنهم جنسا ولغة ، ولكنه مشارك لهم دينا ، والذى استطاع أن يمتص حضارتهم ، ولم يابث أن ظهر فى مصر والشام والحجاز تيارات وطنية عربية ، ثم يقول المؤلف ـ وهو على حق ـ : إن التيار الانفصالى فى مصر على يد محمد على لم يكن تياراً عربياً ، أما التيار العربى الأصيل ، البعيد عن كل أثر أجنبى فهو الذى ظهر فى الحجاز باسم الحركة الوهابية ، التى تعد إحياء للمذهب الحنبلى ، وخلاصة الدعوة الوهابية الرجوع إلى الإسلام فى فطرته الأولى ، وإلغاء كل مادخل على الإسلام من مظاهر مدنية بعيدة عن جوهر الدين ، ويمضى المؤلف بعد ذلك فى استعراض الحوادث السياسية أثناء القرن التاسع عشر فى مصر والحجاز والشام ، وحروب محمد على مع السلطان ، وكيف وقف عند حدود مصر سنة ١٨٤٠ ، وكيف تطورت الحوادث بعد ذلك حتى الحرب العالمية الأولى ، وانهزام الأتراك ، وانفصال ولاياتها عنها ، وظهور النزعات الاستقلالية فى البلاد العربية ، ويستمر المؤلف فى عرضه حتى السبعينات من هذا القرن ، فيذكر ثورة عبد الناصر وتطورها حتى سنة ١٩٦٠ .

٦ — وأحسب ـ وقد لخص للكتاب بما أرجو أن يكون تلخيصا أمينا ـ أنه قد حان الوقت لتوجيه بعض الانتقادات للمؤلف ، واقفين عند أمور ثلاثة :

الأولى : أن العرض السياسى كان طاغياً على المؤلف ، وبخاصة فى النصف الأخير من الكتاب ، مع أنه فى النصف الأول منه لم يقف عند حدود السياسة فقط بل تجاوزها إلى ألوان الحضارة العربية كلها ، ثم إن المؤلف وقد فطن إلى أن العروبة لا يمكن أن تنفصل عن الإسلام ، كان جديراً به أن يمضى فى هذا الطريق ، فيبين لنا كيف يمكن أن يتفاعل الإسلام مع العروبة مرة أخرى فتقوم النهضة العربية الحاضرة على أساس من تعاليم الإسلام .

الثانى : أنه أشار إلى الوهابية باعتبار أنها الحركة العربية الخالصة من كل أثر أجنبى ، وحدثنا عن تاريخ هـذا الداعية وصلته بالسعوديين أمراء نجد ، ولكنه لم يحدثنا عن تيارات عربية إسلامية مماثلة ظهرت فى العالم العربى ، نذكر منها حركة الأفغانى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والشيخ محمد عبده فى مصر ، والسنوسية فى شمالى إفريقية .

وهذه الحركات الثلاث تعزف جميعاً على قيثارة واحدة ، وتصدر نغمة واحدة ، مع اختلاف التفاصيل ، فهى كلها حركات تجديد وإصلاح ، وهى كلها تبغى الرجوع بالإسلام إلى فطرته الأولى وتخلصه من الشوائب التى دخلت عليه وتسد غريبة عنه ، وهى كلها تدعو إلى الوقوف فى وجه التقليد وفتح باب الاجتهاد ، غير أن الوهابية - لأنها كانت متطرفة فى التمسك باليمين الإسلامى - كانت متزمتة غاية التزمت حتى لقد أمرت بهدم شواهد قبور الصحابة فى المدينة .

أما السنوسية : فقد اتجهت وجهة تربية دينية ودفاعية ، فأنشأت الكتاتيب والمدارس والأربطة فى شتى أنحاء ليبيا وتونس والجزائر ، وكان لها أثر لا نزاع فيه فى التمسك بالإسلام فى مواجهة النزعات الصليبية الوافدة على شمال أفريقيا ، وتعد حركة جمال الدين ومحمد عبده حركة إصلاح معتدلة ، تقوم على تفسير الدين تفسيرا اجتماعيا وفلسفيا يتلاءم مع روح العصر الحاضر ، وتفسير المنار الذى بدأه الشيخ محمد عبده ، وتبعه فى ذلك الشيخ رشيد رضا أشهر من أن ينوه به ، والاتجاهات المعاصرة فى التفسير التى نقرأها ونسمعها فى الإذاعة إنما هى ثمرة هذا الاتجاه الجديد .

الثالث : أن المؤلف لم يذكر الأزهر - وهو منارة الإسلام ورواية العروبة وحصن العربية - بحرف واحد فى كتابه ، قد يقول قائل : إنه يكتب عن العرب لا عن الإسلام ، ولا شأن للأزهر بالعرب ، ونحن نقول فى الجواب : إن الإسلام والعروبة لا ينفصلان ، وإن الدفاع عن الإسلام ، دفاع عن العروبة وبخاصة إذا كان هذا النوع من الإسلام قائما على كتاب الله الكريم باللغة التى أنزل بها ، ونعوذ بالمسلمين أن يفرطوا فى كتابهم العربى أو يتناولوا ترجمته ، ونحن نعلم : أن المسلمين من شتى بقاع العالم ، من أندونيسيا والهند والباكستان إلى مراكش والكونغو والصومال يحضرون دروس العلم بالأزهر فيتعلمون اللغة العربية كما يتعلمون الدين ، ويعودون إلى بلادهم أئمة المسلمين وهداة الدين ، فإذا كان العرب سائرين اليوم فى طريق النهضة ، فلا جرم أن الأزهر قوة دافعة فى طريق هذه النهضة .

وبعد ، فإن الأستاذ جبرييل مشكور لحسن دفاعه عن العرب فى قضيتهم التى يرى أنها لا تزال فى بدايتها ، وأنها كما يقول فى ختام كتابه : تنفجر عن طاقات جديدة تشهد بأن رسالة العرب فى البحر الأبيض وفى الشرق الأدنى لم تتحقق بعد . ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

نقد وتعريف : محمد عبد الله السمان

ترانيم الليل :
للأستاذ على الجندى

ديوان جديد للمؤلف يقع فى ثلثمائة وأربعين صفحة من القطع الكبير ، قدم له الأديب الكبير الدكتور شوقى ضيف الأستاذ بكلية آداب القاهرة بمقدمة موجزة أشار فيها إلى أن المؤلف الشاعر يوقع ترانيمه وألحانه على أوتار قيثارتنا الشعرية الموروثة عن الآباء والأسلاف ، والتى تهزنا وتروعنا بما تقدمه لنا من غذاء للعقول وشفاء للقلوب والنفوس ، لا لأنها تراث الأسلاف والآباء فحسب ، ولكن لأنها أيضا تحمل رحيقا موسيقيا صافيا ، يلذ الآذان كما يلذ الأفئدة ، فتصغى إليه منشدية بألحانه وأنغامه . والديوان ستة أبواب :

الأول : تحت راية الوطن ، تضمن قصائد فى فرحة وادى النيل بالثورة ، ومصر والسودان الشقيقتين ، وقسم التحرير ودولة الإقطاع ، وبورسعيد الخالدة ، ونشيد العمال ، وما إلى ذلك من القضايا السياسية .

الثانى : فى ظلال العروبة ، فيه قصائد عن أمة العرب ، والدولة المزعومة ، وفرنسا الرعناء وبنزرت الباسلة ، وبطل الريف ، وما إلى ذلك من القضايا التى تمس كيان العروبة تاريخيا وسياسيا .

والثالث : صور من الحياة ، فيه قصائد تناولت مأساة حسناء ، وتقاليع العم سام ، والشعبان العاشق ، وكعك العيد ، والسائقات الفاتنات ، وما إلى ذلك من صور الحياة الاجتماعية التى لمسها الشاعر بنفسه ، وأهاجت فيه شاعريته .

والرابع : زفرات ، فيه قصائد تناولت انقلاب القيم ، والزمن الرغد والشعر قبل الثورة ، وغربة الحياة ، وشكوى الأديب ، وما إلى ذلك من الصور الحية المليئة بالأسى ، والتى أثارت أشجان الشاعر .

والباب الخامس . ذكريات الصبا أو بين أفنان الجمال ، فيه قصائد عن مصدر الحب والجمال ، والعاتبة الغضبى ، والفتاة الحسناء والتوحيد فى الحب ، وحورية التليفزيون ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والحب بين جمال الجسد وجمال الروح ، وما إلى ذلك من الصور الناطقة التي جاءت ترجمة عميقة لذكريات الصبا عند الشاعر .

والباب السادس الأخير : خواطر وأفكار فيه قصائد عن الروح الظمأى ، وصوكب الربيع ، وحواء المستأسدة ، والزمن الكافر وفلسفة النحل ، ودولة العصر بين الماضي والحاضر ، وما إلى ذلك من الصور المتفرقة التي تناولت شتى جوانب الحياة من فن وسياسة وأدب واجتماع .

• • •

من قصيدته « الدولة المزعومة » :

أبناء اسرائيل قد أصبحوا
حائما فرصها الأجدل
في كل يوم لهم صفعة
بسود أفعالهم تنزل
هم القرود مسخوا على الدنى
أتى بذاك الخبر المنزل
أذل من ذل على أرضنا
أسفل من قيل له : أسفل

الحق أن ديوان الشاعر الكبير الأستاذ علي الجندي عميد كلية دار العلوم السابق ، ديوان جمع فأوعى ، فهو بمثابة موسوعة تناولت جوانب عديدة من الحياة ، في مجالات السياسة والمجتمع ، والنفس ، والعقل والجمال ، وقد حتى على قصائد ديوانه مزيجا من الآراء الفلسفية والنظريات الاجتماعية .

كنا نود أن لا يخلو الديوان من باب للإسلاميات ، يتناول فيه قضايا الإسلام ، وقضايا شعوبه ، فهو من أقدر شعرائنا على سد هذا الفراغ ، ومن يدري فربما كان شاعرنا الكبير في طريقه إلى اخراج ديوان خاص بالإسلام الذي أصبح في مسيس الحاجة إلى ثورة شعرية جديدة ، لا تتغنى بأمجاده السالفة ؛ ولكن تزفر بآلامه ، وآلام شعوبه

• • •

كتب جديدة

النبوة والأنبياء في القرآن :
تأليف : أبو الحسن الندوي
الناشر : مكتبة وهبة ـ عابدين

المؤلف ليس في حاجة إلى التعريف ، فهو رئيس ندوة العلماء بالهند ، وأحد علماء المسلمين القلائل في العالم ممن عرفوا بغزارة العلم ، وسعة المعرفة ، والارتباط بقضايا الإسلام والمسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مجال التفكير الإسلامي الحديث .

في هذا الكتاب عرض فضيلة المؤلف لحاجة الإنسان إلى الأنبياء ، ولسمات النبوة وخصائص الأنبياء ، وللأنبياء كأئمة الهدى وقادة للإنسانية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يذكر المؤلف فى مقدمته أن البحث فى النبوة والأنبياء من البحوث والدراسات التى تشهد بحاجة الطبقة المثقفة إليها ، وهو يعتقد أن أقوى سبب الانحراف هذه الطبقة ، هو بعدها عن منهج النبوة ، وجهلها لقيمها وفضلها على الحياة المدنية والعقل الإنسانى .

• • •

الفاروق عمر :

تأليف : اللواء الركن محمود شيت خطاب

الناشر : مطبعة العانى ـ بغداد

المؤلف أحد وزراء العراق ، ومن الأدباء المؤرخين ، له زهاء عشرين مؤلفا فى التاريخ الإسلامى ، وفى كتابه الأخير هذا ترجمة وافية شاملة لسيرة عملاق من عمالقة التاريخ فى الإسلام ، عرض فى هذه الترجمة للفتح الإسلامى قبل عمر ، ثم بقيادة عمر ، ثم تحليل دقيق لقيادة عمر نفسها ومعالمها وخصائصها ، ولمكانة عمر فى التاريخ .

الكتاب : ١٩٢ صفحة من القطع الكبير

• • •

رجال حول الرسول :

تأليف : خالد محمد خالد

الناشر : دار الكتب الحديثة ـ القاهرة

هذا هو الجزء الثالث من السلسلة التى بدأها الأستاذ خالد منذ عامين باحثا عن جوانب العظمة فى أصحاب الرسول ـ صلوات الله عليه ـ وقد تضمن الجزءان الأول والثانى بحوثا عن واحد وعشرين صحابيا ، أما هذا الجزء فنقرأ فيه عن اثنى عشر صحابياً : منهم خالد بن الوليد الذى لا ينام ولا يترك أحد ينام ، ومنهم عمير بن وهب شيطان الجاهلية وحوارى الإسلام ، ومنهم زيد بن ثابت جامع القرآن ، ثم خالد بن سعيد وهو فدائى من الرعيل الأول ، ثم قيس بن سعد بن عبادة ، وأبو الدرداء ، وزيد بن الخطاب ، وطلحة والزبير وخبيب ، وعمير بن سعد ، وأبو أيوب الأنصارى ، كل صحابى أبرز المؤلف فيه جوانب عظمته ، وخصه بسمة مميزة .

الكتاب ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط

• • •

تطور الخطابة المنبرية :

تأليف : على رفاعى

الناشر : مكتبة صبيح بالأزهر :

المؤلف فضيلة الأستاذ الشيخ على رفاعى مراقب عام الوعظ بالأزهر من خيرة العلماء الذين أسهموا بنصيب وافر فى تطوير الخطابة المنبرية ، وله مؤلفات بلغت اثنى عشر كتابا ، وأعانت ـ ولم تزل تعين ـ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

خطباء المنابر من العلماء وغيرهم العلماء على مهمتهم ، وهذا الكتاب الأخير - كما يشير المؤلف إلى ذلك - على مستوى الشعوب الإسلامية ، يساير نهضاتها ويرسم طريق الوصول إلى أهدافها .

في الكتاب بحث عن أهمية الخطابة المنبرية وبعض النماذج التي عرض فيها للتحليل العلمي والصوغ الخطابي لها ، ثم زهاء أربعين خطبة منبرية في شتى جوانب الحياة العلمية ، ثم بضعة نماذج لدروس التفسير .

الكتاب ٢٢٤ صفحة من القطع المتوسط

محمد عبد الله السمان

الصراع الأدبي

بين القديم والجديد

للأستاذ : علي محمد حسن العماري

يعرف قراء هذه المجلة الأستاذ : علي محمد حسن العماري بما قدمه إليهم فيها من بحوث أدبية ودينية تعتز هذه المجلة بها وبما ينشره دائما فيها لغزارة علمه وسعة اطلاعه ويقظة ذهنه ووجدانه .

وقد ألف عدة كتب في البلاغة والأدب ، وكان آخر ما أصدره لجمهرة القراء والمثقفين عامة كتاب : « الصراع الأدبي بين القديم والجديد » ، وقد تتبع هذا الصراع منذ نشأ في العصر الجاهلي ، ثم في العصر العباسي . . ثم في هذا العصر الذي انحرفت فيه الاتجاهات الأدبية عند بعض الكتاب والشعراء انحرافات ضارة بقوميتنا العربية ودينتا الإسلامي ، والقارىء لهذا الكتاب يجد الكاتب من خلاله عالما بموضوع بحثه غنيا بالشواهد والأسانيد التي يدعم بها قضاياه ، نافذ البصر والبصيرة إلى الدوافع التي تكمن وراء الاتجاهات التي يتناولها بحثه أو تعقيبه ، وقد كتب مقدمته الأستاذ الكبير احمد حسن الزيات .

ونرجو أن نعرض لموضوع هذا الكتاب بالتفصيل في القريب العاجل إن شاء الله .

(المجلة)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى محيط العالم الإسلامى

قلسطين المحزنة :

حدث أخيراً أن أصيبت دولة الصومال المسلمة بمجاعة هزت كيان زهاء مليون مسلم والمؤلم فى الخبر أن جمعية الصليب الأحمر هى التى أخذت على عاتقها الدعوة إلى إنقاذ الألوف التى هوى الجوع وفتك بعدد منها ، بينما العالم الإسلامى بأسره لم يحس بهذه المأساة ، ويظهر أنه ليس مستعدا لأن يحس بها .

وإذا كانت العوامل السياسية الجائرة أصرت على أن لا تقوم لوحدة المسلمين قائمة فأى عقبة يمكن أن تقف فى سبيل وحدة روحية تربط بين قلوب المسلمين وعواطفهم لتؤدى واجبها - على الأقل فى مثل هذه المأساة ؟! .

• صنعاء : صدر قرار جمهورى بإقرار الدستور المؤقت لليمن وينص هذا الدستور على أن اليمن جمهورية عربية إسلامية ديمقراطية ، كما ينص على تكوين مجلس جمهورى يرأسه رئيس الجمهورية ، ومجلس الشورى يضم تسعة وستين عضوا ، يتولى اختيار أعضاء المجلس الجمهورى ، ويقوم بوضع الدستور الدائم وعرضه على الاستفتاء العام خلال فترة الانتقال ومدتها سنتان .

• داكار : وافقت حكومة السنغال على انسحاب عشرة آلاف جندى فرنسى من بلادها من تلك القوات الفرنسية التى لم تزل بالسنغال بعد استقلالها ، ومن الجدير بالذكر أن السنغال كانت إحدى المستعمرات الفرنسية فى غربى إفريقيا .

• الخرطوم : رفضت حكومة السودان الموافقة على زيارة وفد حكومة تشومبى السودان لإجراء محادثات بشأن التوتر الذى يسود الحدود بين الكنغو والسودان ، بسبب الاعتداءات المتكررة من قوات حكومة تشومبى على حدود السودان بدعوى مطاردة الثوار .

• القدس : بدأ العمل فى المرحلة الثانية لإصلاح المسجد الأقصى ، ومن المقرر أن تنتهى هذه المرحلة خلال سنوات أربع .

• جاكرتا : رفضت حكومة أندونيسيا إجراء استفتاء فى إيريان الغربية طبقاً للاتفاق الذى تم تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد صرح الرئيس سوكارنو بأن العالم أجمع يعترف بأن إيريان الغربية جزء لا يتجزأ من الأراضي الأندونيسية وليس لهولاندة أي حق فيها .

* غزة : بدأ تجنيد الدفعة الأولى من الفلسطينيين بقطاع غزة من مواليد عامي ٢٧ ، ٤٤ ، تنفيذاً لقانون التجنيد الإجباري للفلسطينيين ، الذي أقره المجلس التشريعي في أواخر فبراير الماضي ، ويقضي بأن تكون الخدمة العسكرية إجبارية لكل فلسطيني من سن ١٨ - ٣٠ سنة .

* القاهرة : أقيم في القاهرة المؤتمر الثالث لتنظيم الأسرة ، اشترك فيه عدد من المؤسسات والهيئات الأجنبية ، منها المجلس الأعلى للدراسات السكانية بأمريكا ، ومؤسسة فورد ، وجامعة جراز بالنمسا ، والجمعية الدولية للأسرة .

* الفاتيكان : أنشأت الفاتيكان قسما جديداً للشئون الإسلامية ، في سكرتاريتها المختصة بشئون الديانات غير المسيحية ، وقد عين رئيساً لهذا القسم القس الفرنسي الأب جوزيف كوك الخبير بالشئون الإسلامية .

* لندن : صدر في لندن مصور عن الفن الإسلامي أعده دافيد تالبوت رايس ، كما صدر كتاب جديد باللغة الإنجليزية للكاتبة دورنا راسل عنوانه : القاهرة في العصور الوسطى ، وتبلغ صفحات هذا الكتاب ٣٤٩ صفحة .

القاهرة : من المنتظر أن يضاف إلى تلاوة القرآن . في محطة إذاعة القرآن برنامج لتفسير القرآن يقدمه كبار العلماء والمختصون بالدراسات الإسلامية .

في محيط الأزهر

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بعثة الحج اليوغسلافية برياسة الحاج مصطفى شوا مدير المعهد الإسلامي بسيراييفو وذلك بمناسبة مرور البعثة بالقاهرة في طريقها إلى الأراضي المقدسة لتأدية فريضة الحج ، وقد تناول الحديث شئون الإسلام والمسلمين بيوغوسلافيا .

* تقرر لأول مرة قبول طلاب المنازل الحاصلين على الشهادة الإعدادية والابتدائية في امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية المعادلة هذا العام .

* أصدر السيد المهندس أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء لشئون الأوقاف والأزهر — قراراً بأن يكون امتحان القبول بالمعاهد الأزهرية والمعهد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

النموذجى للبنين فى القرآن الكريم تحريرياً اعتباراً من العام الدراسى القادم .

* طلبت جامعة الأزهر إلى مجلس الدولة إبداء الرأى فى التماس الذين لا يحملون أية مؤهلات دراسية ، وسبق لهم أن تقدموا للحصول على العالمية المؤقتة ورسبوا فيها ، ويرغبون فى الالتحاق بالسنة الرابعة النظامية بالقسم العالى للجامع الأزهر ، ومن المعروف أن قانون تنظيم جامعة الأزهر كان قد اشترط لها ضرورة الحصول على الشهادة الثانوية كأدنى مؤهل دراسى للالتحاق بالسنة الأولى الدراسية .

* نوقشت فى أبريل الماضى بجامعة الأزهر الرسالة المقدمة من الأستاذ فتحى عبد القادر الدربى الأستاذ بكلية الشريعة بدمشق ، والموفد إلى جامعة الأزهر فى بعثة علمية لتحضير رسالة الأستاذية فى الفقه والأصول. موضوع الرسالة « التعسف فى استعمال الحق بين الشريعة والقانون » بلغت صفحاتها ٥٢٣ من القطع الكبير ، ألفت اللجنة برئاسة الشيخ طه الدينارى ، وعضوية الدكتورين : محمد مختار القاضى ، وجاد الرب رمضان ، وقد قررت اللجنة منح الأستاذ الدربى درجة الامتياز مع مرتبة الشرف .

السمار

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهرس أبجدى عام

لموضوعات المجلد السادس والثلاثين

صفحة	الموضوع
	(أ)
٥٠٩	الأباضية فى موكب التاريخ (كتاب)
٥٧٦	اتجاهات الثقافة فى الشرق العربى ...
٢٦٨	أبو زكريا الفراء (كتاب) ...
٨١٢	أبو العلاء والصور الشعرية ... ...
٨٨٠ ٩٩٣	أثر الأدب فى ثورة العرب ...
٨٠٧ ٩٣٣	أثر البيئة فى أدب الأندلس ...
١١٨	أحمد زكى الملقب بشيخ العروبة (كتاب)
٢٩٢ ٤٨٨ ٥٩٩	إخوان الصفا - أثرهم فى تطوير القصة على لسان الحيوان ...
١	الأدب الحرام ... ...
١٠١	الأدب الصوفى ... ...
٢٦٦	أزمة الإيمان ... ...
٦٣١	الإسراء والمعراج ... (كتاب)
٦٢٤	الإسلام بين الأمس واليوم ...
٩٢٩	الإسلام والحياة ... ...
٢٨٠	الإسلام وما يفتى عليه ... ...
٧٢٠	حول مقال - الإسلام وما يفتى عليه
٩١٠	إشارات أبى العلاء ... ...

صفحة	الموضوع
٧٦٩	أصول الفن الخطابى ... ...
٥١٢	أضواء جديدة على الحروب الصليبية (كتاب) ... ...
٢٤٤	إعجاز القرآن . (كتاب) ... ...
١٥٥	إقبال شاعر الإسلام والقوة والتصوف
٧٣٢ ٩٤٨	الإقليمية فى الأدب ... ...
٩٩٠	الذين يعيشون فى الظلام ... ...
٤٢٥ ٥٢٣ ٦٦٦ ٨٤٤ ٩٤٤ ١٠٢٢	إلى أى مدى تتغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان ...
٤٩٨	إلى رسول الله - قصيدة - ... ...
٢٥٣	إمامة الجاهل فى الصلاة ... ...
٨٠	الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
٩٧٣	الإنسان بين هوى النفس والشيطان
٦١٢	الإنسان والجمال ... ...
٤٤٩	إنسانية الحضارة العربية وإبداعها
٥٤٥	إن هذا لهو القصص الحق ... ...
٩٨٦	إيمان فرعون (كتاب) ... ...
٩٠٢	آية فيها نور للأبصار والبصائر ...

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صفحة	الموضوع
	(ب)
٤١٦	البذل فى سبيل الله بيع رابح ...
٨٦٣	براعة التصوير فى شعر الأندلسيين
٥١٢	بسط سامع المسافر فى أخبار مجنون بنى عامر (كتاب) ... ...
١٢٩	البلاغة بين الإيجاز والإطناب ...
٥١١	البناء الفنى للقصيدة العربية (كتاب)
	(ت)
١٢٤	تبنى المسيحى للطفل المسلم ... ...
٨٩١	التثليث والصلب والقيامة والفداء
٤٥٨	التجديد الدينى ... ...
١١٥	تخريج الفروع على الأصول (كتاب)
٩٩٧	تحية الإمام الأكبر للمسلمين فى عيد الأضحى ... ...
٧٢٧	التراث الإسلامى والحضارة الأوربية
١٠٩٢	ترانيم الليل (كتاب) ... ...
٢٣٣	تصنيف العلوم عند الغزالى ... ...
٦ ١٣٣ ٢٦١ ٥١٩ ٧٨٨ ٨٩٧	التطورات التشريعية فى الطلاق
١٤٠	تفاوت المنازل عند الله ... ...
١٦٠	التفسير الباطنى ، نشأته وأسبابه
٨٦٨	التكافل الاجتماعى فى الإسلام (كتاب)

صفحة	الموضوع
٢٣٦	التكبير عند ختم القرآن ...
١٠٧٨	تمبكتو ... ...
٣٨٥	تمنى التبنى ... ...
٣٥٠	توضيح وتصحيح لتفسير آية ...
٤٨٤ ٥٨٨ ٦٧١ ٨٢٥ ٩١٦	تيارات منحرفة فى التفكير الدينى المعاصر ... ...
	(ج)
٧٩٦	جزاؤنا عند الله قائم على عدله وفضله
٩٨٩	جمع القرآن ... ...
٥٠٢	الجمعة عند تعدد المساجد ... ...
٥١٦	الجهاد ... ...
	(ح)
٩٨٣	الحج ونفقة الأقارب ... ...
٣٨٨	حديث هام لفضيلة الإمام الأكبر
٢٤٩	حروب الإسلام ... حروب فتح
١٠٩ ١٨٥	الحرية السياسية والقيادة الجماعية فى الإسلام ... ...
١٠٤٥	الحرية كما يريدها الإسلام ... ...
٥٠٨	حسان بن ثابت (كتاب) ...
٣٠٢	حق الفقراء فى أموال الأغنياء
٢٢٣	الحقيقة الضائعة ... ...
٨٨٥	حكمة العيد وما شرع له ... ...

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صفحة	الموضوع
٥٣٥	حلاوة الإيمان ... ...
٨٠١	حول شعب الإيمان ... ...
١٠٠٦	حول ظلمات الكفر وأضواء الإيمان
٢٤٧	حول الغلط والتصحيح على ألسنة الكتاب «كتاب» ... ...

(خ)

٦٣٠	خالد بن الوليد والدعوة المحمدية «كتاب» ... ...
١٠٦٩	خاتمة المطاف ... ...
١٢٣	خطبة العيدين والجمعة، وهل تصح بغير العربية؟ ... ...
٦٣٢	الخطر اليهودي «كتاب» ... ...
٩٢٠	خواطر حول قصة الفداء ... ...

(د)

٦٦١	دعوة الله إلى الإسلام أثارت عجب المتكبرين ... وإعجاب المصدقين
٧٣٧	دور العرب في نشر الإسلام في الهند
٩٨٧	دولة الفكرة «كتاب» ... ...
٧٥٨	الدخان: حكم الشرع فيه ... ...
١٧٠٣	دسائس اليهود ... ...

(ذ)

١٩٢	الذرق الأدبي ... ...
٢٠٢ ٣١٩	الذرق الأدبي كما يراه ابن خلدون
٨٤١	ذو المروءات من أعلام العرب

صفحة	الموضوع

(ر)

٢٧٢	رجال حول الرسول «كتاب» ...
٩٦٥	رحلات الخليل إبراهيم إلى الحجاز
١٣٧ ٢٧٠ ٤٢٩	رسالة الأصول للإمام الشافعي
١٠٤٨	رسالة إقبال إلى شباب الإسلام ...
٨٥ ٢١٦ ٣٣٢	رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة ... ...
٤٨٢	الرمزية حرب جديدة على اللغة والدين

(ز)

٩٨٤	زكاة الأرض المستأجرة ... ...
٣٧٩	الزواج العرفي ... ...
٥٠٤	الزواج على غير إرادة الوالد الغائب

(ش)

٨٤٨	شريعة الصيام بين المصلين وغيرهم
٦٣٢	الشريف الإدريسي وأثره في الجغرافيا «كتاب» ... ...
٤٨	شعائر الله من تقوى القلوب ...
٧١١	الشعر الحديث وبساتين القرآن ...
١١	شهر الله المحرم ... ...
٧٧٦	شهر رمضان للإمام الأكبر شيخ الأزهر ... ...
٣٤٦	شوق وتاريخ العرب والإسلام ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صفحة	الموضوع
	(ص)
١٤٩	صداقة الفكرة بين ثلثوث والرسالة
١٠٩٥	الصراع الأدبى (كتاب) ... ...
٥١١	صراع بين الحق والباطل ... ...
	(ض)
١٠١٧	ضجة مفتعلة ينكرها الدين والواقع
	(ط)
٥٥٠	طاعة الرسل وطاعة الرسول ...
٧٧٤	طباع وشرائع ... ...
٢٥١	طروء الأفكار والوساوس على المصلى أثناء الصلاة ... ...
	(ع)
٢٣	العبرة من الهجرة ... ...
١٠٨٥	العروبة والإسلام ... ...
٥٥٦	عصمة الأنبياء بين اليهود والنصارى والقرآن ... ...
٩٦	العقاد والفكر الإسلامى ... ...
٧٤	العقاد فى الدراسات اللغوية ... ...
٨٣٩	العلم بين السلام والخصام «قصيدة»
٥١٠	علم القلوب للعلامة أبى طالب المكى «كتاب» ... ...
٤١١	عناية الإسلام بالشباب ... ...
٢٧٥	العهد مسئولية دينية والوفاء به غاية حتمية
٢٣٨	العوامل الضرورية فى بناء الجماعات وإقامة المدنيات ... ...
	(غ)
٣٦٩	الغزو الفكرى «كتاب» .. ...
٤٠ ١٦٥ ٣٢٧	غزوة أحد بين القرآن والشعر
	(ف)
٧٠٣ ٨٥٦	فجر الفكر الإسلامى فى مصر
٥٤١ ٧١٣	الفراغ النفسى عند الشباب ...
٦٥٧	فرق مسيحية تقول بوحدانية الله
٣٠-	فضائل النبى فى القرآن ... ...
٩٧٧	الفنون الإسلامية ... ...
١١٦	فى الإيمان والإسلام «كتاب» ...
٣٧١	فى صحبة العقاد «كتاب» ... ...
	(ق)
٢٤٦	قاهر التتار «كتاب» ... ...
١٠٢٩	القدرة اللغوية عند أبى العلاء ...
٣٧٧	قراءة القرآن لدى القبر ... ...
٨٧٦	قسم عال للدراسات الإسلامية والعربية بالأزهر ... ...
١٠٤٠	قضية المرأة ... ...
٦٨٥ ٨٢٩ ٩٢٥	القوم الصوفية ... ...
٦٥١	القيمة الأدبية فى الأدب الصوفى ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صفحة	الموضوع
	(ك)
٧٥٥	المعراج للقشيرى « كتاب » ...
٨١٨ ٩٠٧	كتب ظاهر الرواية ... ...
٤٠١	الكيان الفلسطينى ... ...
	(ل)
٩٩٠	لماذا ... العرب وحدهم ؟ ... ...
٥٨٤	ليلة الإسراء والمعراج ... ...
٤٤٥	الليلة المباركة ... ...
٢٠٦	ليلى الأخيلية ـ المثل الأعلى فى الوفاء
	(م)
٦١	ماذا تعرف عن بوذا وفلسفته ...
١٠٣٦	ماوراء المحسوس فى فلسفة الجمال والفن
٧٠ ٢٠٩ ٣١٥ ٤٢١ ٦٨١ ٨٢١	المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام
٥١١	المجتمع فى شعر أحمد الزين « كتاب »
٨٣٥ ١٠٥١	محمد رسول الله ... ...
٩٥٣	الشيخ محمد عياد طنطاوى ... ...
٧٤٧	محمد فى مكة ... ...
٢٤٥	مختصر سياسة الحروب للهرثمى (كتاب)
٢٥٧	المذاهب الأدبية المنحرفة ...

صفحة	الموضوع
٢٨٨ ٦٧٧	المروءة فى اللغة العربية ...
٤٠٧	مشاكل التربية الدينية والخلقية ...
٧٠٧	مسئوليات الناقد المعاصر ... ...
٣٦٠	مستشرق من اليابان يكتب عن الله والإنسان فى القرآن ... ...
٩٨٨	مطلع النور « كتاب » ... ...
٦٨٩	معايشة أبى العلاء للنحاة ... ...
٥٣	معاهد التنصيص : رسالة الكتاب ومنهجه الأدبى ... ...
٨٥٢	معركة عين جالوت ... ...
٦٠٥	مع شوقى فى مدائحه النبوية ... ...
٤٣٨	مع الفكر المؤمن ... ...
١٥٥	مفهوم التجديد الدينى ... ...
٥٣١	مفهوم الإيمان ... ...
٧٩٠	مقومات القيادة الناجحة فى الإسلام
٥١٣	مكانة المرأة فى المجتمع ... ...
٩٠ ١٩٩ ٣٥٤	الملاحم والمطولات الإسلامية فى الشعر العربى ... ...
١٧١ ٢٩٨	ملكية الأفراد للأرض ومنافعها فى الإسلام ... ...
١٠٥ ١٧٧ ٣٠٩ ٤٧٣	الملكية الفردية وتحديدها فى الإسلام ... ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صفحة	الموضوع
٣٣٦	مناجاة الخالق ... ...
٤٧١	من أباطيل اليهود ... ...
٦٤١	من روائع فردوسنا المفقود ...
٥٩٥ ٩٤٠	من شيم العلماء وشغفهم بالعلم
١٠٠١	مظاهر رائعة من عظمة الرسول
٣٥	من موازنات القرآن بين المنافقين وأهل الإيمان ... ...
٤٩٣	المنهج الإسلامى فى الأدب ونقده
٢٤٢	من وحى الهدى (قصيدة) ...
٣٦٦	من وحى القرآن (قصيدة) ...
٢٨	الموطأ للإمام مالك ... ...
١٤٤	موقف الإسلام من نظامى : التبنى والاعتراف بالولد .. ..
٣٧٢	(مى) أديبة الشرق والعروبة ...

(ن)

٤٣٣ ٦٤٦ ٩٦٠ ١٠٥٧	الناحية العلمية من إعجاز القرآن
١٠٩٣	النبوة والأنبياء (كتاب) .. ...
٦٩٣	نسمات الأندلس فى ربوع النيل
٧٨٢	النظام الاقتصادى فى الإسلام ووضعه بين النظم الاقتصادية الحاضرة ...

صفحة	الموضوع
٩٦٨ ١٠١١	نقد ابن تيمية لمذاهب الاتحادية والقائلين بوحدة الوجود ...
٢٢٦	النقود التاريخية فى عهد المسلمين فى الهند ... ...
٥٨٠	نهضة العالم الإسلامى ... ...
٨٦٠	النيل فى مؤلف مصرى قديم ...

(هـ)

١٥	هجرات فى سبيل الحرية ... ...
٦١٧	هدف الغزل الجاهلى ... ...
٣٩٨	هذا واجب العرب فأين واجب المسلمين ؟ ... ...
٣٧٧	هل للصلاة سورة خاصة ؟ ... ...
٣٤٠	الهندوكية ... ...
٨٨٧	هيا إلى العيد الأكبر ! ... ...

(و)

٧١٦	الواو الزائدة . فى الأساليب العربية
٤٠٤	وثنية بنى إسرائيل ... ...
٣٩٢	وحدة الوجود ... ...
٥٦١	الوراثة وقوانينها ومظاهرها ...

(ى)

١١٢	يسر الدين الإسلامى وصلاحيته ...
٥٦٨	يقظة التفكير الأوربى على صوت ابن رشد ... ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٣ ــ تعرضت والاته فى أواخر القرن الثالث عشر إلى غزوات متعددة من طوارق الصحراء مما أشاع فيها الاضطراب فهجرها « الكونتا » علماء جداله إلى تمبكتو حيث كان الحكم فيها قد استتب للملوك مالى فى عهد « منسى موسى » (١٣٠٧ ــ ١٣٣٢) وهنا دخلت تمبكتو مرحلة الازدهار بالثقافة العربية والإسلامية ، وظلت كذلك حتى القرن السادس عشر حينما وصلها الغزو المغربى من الشمال .

العصر الذهبى لتمبكتو

بلغت تمبكتو ذروة مجدها فى عهد منسى موسى أشهر ملوك مالى بفضل عنايته الشخصية بالمدينة وتشجيعه العلماء على الإقامة فيها ، وبعد عودته من الحج أحضر معه أيضاً عدداً من علمـــاء المدينة المنورة وكميات كبيرة من الكتب من مصر .

ويذكر عبد الرحمن السعدى أن فقيها اسمه عبدالرحمن التميمى جاء من الحجاز بصحبة منسى موسى صاحب مالى ، فأقام بتمبكت زمناً ، ولما رأى رجالها يتفوقون عليه فى معظم العلوم غادرها إلى فاس حيث درس مزيداً من علوم الشرع وعاد ثانية لإقامة مجلس علم بتمبكتو (١) .

وكان أهم حدث فى تاريخ تمبكتو الثقافى أن السلطان منسى موسى استدعى أبا إسحق الساحلى الغرناطى الأصل من المغرب لبناء قصر للملك ومسجد كبير فى تمبكتو ، ومنذ بناء هذا المسجد وعلماء جداله يجلسون فيه للدرس ، وقد كثر تلاميذهم الوافدين من كل فج : من دوعه ، وسوس ، وبجلاصه ، بل ومن فاس فى المغرب الأقصى وطوات وغدامس وقزان .

وفى أوائل القرن الخامس عشر استطاع الطوارق بقيادة زعيمهم « عقيل مالوال » أن يستولوا بتمبكتو ، وعينوا عليها رجلا من صنهاجه يدعى عمر ، كان محباً للعلم والدين ، فأرسل سراً إلى سونى على أول ملوك الصنغاى يدعوه إلى غزو تمبكتو لإعادة الاستقرار إليها ، فدخلها سونى على سنة ١٤٦٨ ، غير أن عقيل مالوال هرب بعد أن صحب معه عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء الذين عادوا واحداً تلو الآخر إلى تمبكتو فيما بعد لأن المقام لم يطب لهم وسط طوارق الصحراء (١) .

ولقد عاشت تمبكتو فى ظل ملوك الصنغاى فترة ازدهار علمى ودينى لما كان يحرزه علماء الدين فيها من مركز لدى الملوك ، وبنى فيها « أسكيا داوود » مسجداً كبيراً جديداً أتى له بالأخشاب من غابات الجنوب ، وأقام فيه صوامع للفقهاء للعبادة والدرس ، وأصبح هذا المسجد جامعة إسلامية مرموقة معروفة بعلمائها وفقهائها الذين كانوا يتلقون الرسائل من مصر والمغرب والحجاز للإفتاء فى أمور الدين وكثير من المسائل الفقهية المشكلة .

(١) السعدى ص ٨٣ ــ ٨٤ .

(١) روبرت كورنيفان ص ٢٥٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

واشتهر فى عهد ملوك الصنغاى من علماء سنكورى «الحاج جبر القاضى» ابن عبدالرحمن ابن أبى بكر ، وه عمر السالك تندبع ، الذى تولى القضاء فى عهد أسكيا محمد وأحمد بابا التمبكتى الذى ترك مئات الرسائل والكتب .

وبما ذكره أحمد كاتى فى كتابه تاريخ الفتاش أنه : فى ذلك العهد كانت المدينة مليئة بطلاب العلم من أبناء السودان الذين تملأ نفوسهم الرغبة فى التحصيل وتقصى الحقائق ، وذكر أحمد كاتى فى موضع آخر من كتابه أن : أحد المعلمين مثل على زكريا (ناكارى) كان يجنى كل خميس قرابة ١٧٢٥ مثقالا من تلاميذه البالغ عددهم ١٢٥ حيث كان كل منهم يقدم ما بين خمس وعشر ، وكان هؤلاء التلاميذ يجمعون لحطب الذى يشعلون فيه النار لتضىء لهم أثناء دروس الليل (١) .

واهتم كل من اسكيا داوود وأسكيا محمد بكتب العلم والفقه والدين فكان أسكيا داوود يحتفظ فى بلاطه بآلاف الكتب المخطوطة ، وكان ينفق الكثير على الخطاطين الذين ينسخون من هذه الكتب نسخا ليوزعها على علماء تمبكتو (٢)

وقد قامت بين علماء الأزهر فى مصر وبين علماء تمبكتو مراسلات عديدة ، وعرف جلال الدين السيوطى عندهم حيث كان يطلق عليه اسم بابا سانتاو ويوصف بأنه العالم المصرى ، ومما يؤكد هذه الصلة أن أحمد بابا التمبكتى العالم الفقيه السودانى كان من بين رسائله رسالة فى الرد على المسألة المصرية تتضمن فتوى فى بعض أسئلة وصلته حول الفرائض (أى الميراث) .

الغزو المراكشى وعهد الاضطراب

وفى أواسط القرن السادس عشر ظهرت لدى ملوك المغرب الأقصى أطماع توسعية فيما وراء الصحراء للسيطرة على تجارة الذهب والملح ، وعلى مراكز التجارة فى بلاد السودان ، وأدت هذه الأطماع إلى أن أرسل السلطان المنصور محمد ملك مراكش حملة بقيادة قائده الأسبانى الأصل : جودر باشا بدأت سنة ١٥٨٥ بغزو تغازا مركز استخراج وتجارة الملح وطردت منها قوات الأسكيا اسحق الثانى نهائيا ، واستمر الغزو المراكشى بقيادة جودر باشا بجيوش مرتزقة من الأندلسيين المسلحين بأسلحة نارية ، وانتهت الغزوات بهزيمة الصنغاى فى تاودنى وتعقبتهم جيوش جودر باشا إلى النيجر حيث حاربوا على مشارق تمبكتو وجاو ، وجنى واشاعوا فيها الفوضى والفساد .

وقد خلف جودر باشا فى قيادة الجيوش المغربية قائد يسمى : احمد بن زرقون الذى

(١) محمد كاتى : كتاب تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ترجمة هوداس وديلانوس باريس سنة ١٩١٣ ص ٧٨ ، ٣١٦٤.
(٢) محمد كاتى ص ٧٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

News From The Muslim World

By : Mohammad Abdullah El-Sammam

* The Yemeni Republican Council has approved a provisional draft constitution of the Republic of Yemen. This Constitution bears a historical Significance as it means a land mark in the history of the Arab world. The new constitution declares that Yemen is an Islamic Democratic Arab Republic. The transition period is two years.

* The Afghanistan Parliament ratified recently a new Constitution for the country. The constitution states that the religion of Afghanistan is the Sacred faith of Islam. The state disposes, of religious matters in accordance with the Hanafi Command ments'. Those members of the nation who do not follow the the Islamic faith are free to conduct their religious Ceremonies within the limits of the laws formulated to maintain the decorum and tranqullity of the public (chapter 1, Article 2.)

* The Palestine Liberation Organisation observed this month the aniversary of the palestine tragedy. President Jamal Abdul Nasser Said in his message to the Palestine Day Conference that the Arabs would exploit all their Sources of wealth to face the Israeli danger and that they would work hard to realize development.

* The Prime Minister of Malaysia, Tunku Abdul Rahiman, Said, in Kuala Lumpar, that he would write to the leaders of the Arab Nations and tell them that Malaysia had no intention of establishing deplomatic relations with Israel.

* The Vatican has announced the establishment of a Section for Islamic Affairs. This Section will be attached to its special Secrateriate which deals with the affairs of world religious other than christianity.

* The Muslim students association of the United States and Canada has passed a resolution, at its Second Convention, which was held in Urbana, Illinois, about the necessity of promation of friendship among Muslim Organisations in the World. The resolution says : "Muslims Should be Urged to remember that they are the representatives of Islam and that their behaviour is regarded, by the non-Muslims, as Muslim behaviour."

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Caliph : The matter stands quite clear then. We leave it to you to decide. You do not curse the Pharaoh a confirmed enemy of God. Do you think it is in any way lawful to curse those who keep up prayers and observe the month of Ramadan and give alms? Surely we can punish the transgressors, but can never curse.

Representatives : well and good. But better for you and us both if you cut off your connections with them.

Caliph : The Kufites anp Basrites once led on army against your ancestors. They put to death many of them. Did you forsake those people ?

Representatives : No.

Caliph : If that is so, we do not understand why you compel us to do what you did not yourselves.

He who professes to believe in the oneness of God and the prophet hood of Muhammad, God and his Apostle are ready to take him under protection. And is it not a pity to find this, that it is only you who refuse to extend your sympathies to believers ? Is it, then, the regeneration of Islam you are driving at ?

The proxies could make no reply.

They acknowledged in express words their satisfaction, and said : « we beg to be excused for our outspokenness. We are very much thankful to you for your leading a patient ear to so lengthy a talk».

A woman accuses the son of caliph Mamun in open court Mamun was once holding court when there appeared a woman. A child was clinging to her breast. She cared not for the formal ceremonious etiquette of the court, and at once burst out into tears and cried aloud, saying : « O, Caliph ! the house of a widow has been seized for no fault.

Do Justice to my complaint and keep in vieev the Day of Judgment where I shall stand up and raise my voice admist the crowd against you if you do not make good the wrong done to me ».

The courtiers were quite astonished to hear the woman speaking so loudly in the presence of the Caliph.

The Caliph, on hearing this complaint, was startled, as if taken aback by some unexpected calamity.

« Well, who has done such a glaring injury to you ? Tell us his name ».

The woman blushingly said Princé Abbas, your son ».

(Continued on page 11)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Aspects of Socialism and Equality

- From the History of Early Muslims -

By

IBRAHIM M. EL - ASSIL

ISLAMIC RESEARCH ACADEMY

On his ascending the throne of caliphate, Omar bin Abdul'Aziz had to face of a rebellion raised by Bistam, a Kharijite, due to some difference of opinion. The caliph wrote a short note to him, which ran as follows :

" We learn that your sole aim is to regenerate the faith of Islam.

We also, let it be known to you are bending our energies to the same end. Would not you, then, appreciate the idea of holding a debote between both the rival parties ? If we can advance convincing arguments, you will have to give allegiance to our authority. But if you get the better of us, we would consider the matter"

Upon this Bistam commissioned two proxies to the court of the Caliph.

The debate was convened, and the following words passed between the Caliph and the representatives :

Caliph : well, what reasons have you to justify yourselves to disturb the peace of the country ?

Representatives : You have ridden rough-shod over the desires and wishes of the people in general and your relatives in particular. You have confiscated their landed properties. If they did a wroug thing, is it not quite justified, according to Islamic jurisprudence, to curse them ?

Caliph : You do not seem to catch the point. I have taken back only what they had received either through unlawful means or because they did not deserve it. I do not see any necessity of upbraiding the unbelievers and wrong-doers, nor is it supported by any verse or authority either of the Qur'an or the Traditions.

Did you ever curse Pharaoh ? Do you believe honestly that it is incumbent upon you to do so ?

Representatives : We never curse the Pharooh, nor is this an article of faith with us.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

pillar is the practise of the obligatory prayers five times during the day, but how many perform the farz let alone the sunnat or nafl prayers? the third pillar is Zakat or charity, while this primarily means to give a percentage of your income to the poor in a certain month of the year we should not forget charity in our daily lives as well. . . how many times has a suppliant been thrust aside with a curse given instead of a coin, even if we cannot give money surely we can give a kind word, little as it may be, for charity also means love, understanding, tolerance, kindness and mercy ; the fourth pillar is fasting during the month of Ramadan when all Muslims must fast from dawn to dusk, but do we also abstain from indulging in anger, lying and cheating ; the fifth and final pillar is the Hajj or pilgrimage to Mecca, this is indeed a difficult task which often causes great sacrifice but it is the envy of all the other religions, for it is the bond that once a year brings thousands of Muslims together from all parts of the world to worship and pay homage to the One God, Allah.

All these things are the main roots of Islam and if we would only cultivate them in ourselves, then from these roots would spring forth the divine towering tree of our eternal faith whose green branches would give shade to our souls and whose fragrance would refresh our heart, it would give shelter from the storm of life and abundant sustenance to a hungry spirit. Water these roots with your tears of contrition, prune its branches with love and discrimination, fertilise it with your very being, adore and cherish it in truth, and you will then live as only a Muslim can live. . . in happiness and and contentment.

RASCHID AL-ANSARI
(ROBERT WELLESLEY)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

FUNDAMENTALS OF ISLAM

BY : RASHID AL-ANSARI

Many of us seem to forget the fundimentals of Islam and become lost in the wandering pathways of useless speculation on the finer points of Islamic theology and thouhgt until at last we are far from the basic teachings of Islam, finding ourselves living a life of petty restrictions that have very little meaning. Then, as we say, you cannot see the forest for the trees . . . in other words the whole becomes obscured by the part. It is a little like a carpenter who pays meticulous attention to the seat of a chair, carving it and polishing it, and in the process completely forgetting all about the legs of the chair ! And how can you have a chair without legs ? It is a ridiculous thought. Even so does Islam lose its dignity and simplicity when insistence is put on form and not on spirit. It is therefore important that we should keep in mind what are sometimes known as the Pillars of Faith and the Pillars of Wisdom.

In the Seven Pillars of Faith the first pillar is belief in Allah, the Eternal and One God who has no equal ; the second pillar is belief in in His angels, of whom we are each said to have our Guardian Angel ; the third pillar is belief in the Books sent from Allah for our guidance, of which it is a fact that the Qoran is the only one to retain its original purity ; the fourth pillar is belief in all the prophets of Allah, such as Moses, Abraham, Jesus and Muhammad (may peace be upon them), who brought the message of Allah to a wayward world ; the fifth pillar is belief in the Hereafter, of the continuation of life after the body dies, thus Allah bestows on us a certain immortality, for only Allah is truely immortal, the sixth pillar is belief in the ultimate will of Allah, that though we must strive and do our best in every possible way we must always remember to surrender ourselves to His will, it is the neglect of this that causes a lot of the evil present in this world today ; the seventh pillar is the belief in the Day of Judgement, when we will face the radiant and supreme wisdom of our Lord to beseech His mercy on our souls.

Then we come to the Five Pillars of Wisdom, the first pillar being the belief in the one God alone, Allah, and His last messenger Muhammad (may peace be upon him) who was yet the first ; the second

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

a painful punishment. On the day when it will be heated in the fire of Hell, then their foreheads and their sides and their backs will be branded with it : This is what you hoared up for yourselves, to taste what you used to hoard.")

And :

(And let not those who are niggardly in spending that which God has granted them out of his grace think that it is good for them. May, it is evil for them. They shall have a collar of niggardliness on their necks on the Day of Resurrection . . .)

And the Prophet said :

" Whomever God granted wealth and he withheld the poor-rate, his wealth shall be pictured for him on the Day Judgment as a big sanke with two lorns, and it will fold around his body and hold up his cheecks saying : I am your hoarded money, I am your wealth."

It is also reported through Abdullah ibn Omar that the Prophet said :

" O immigrants and helpers ! There are five evils I take refuge in God not to befall you. If adultry appears among people, they will be stricken with such ills as not happened to their past generations. If they do not give right measure in their scales, they will be tried with poverty, scarcity of provisions, and injustice of their rulers. If they prevent the poor-rate, they will be denied rain from the sky, except for the sake of their animals. If they do not fulfil the Covenant of God and His Messenger, God will raise against them those take away some of what they possess. And if their rulers do not rule according to the Law of God, the fighting among them will be severe."

(Continued from page 15)

The caliph had earned a good name for justice. The story told by the woman, by name Mughira, set the blood of Mamun boiling ; his face glowed with anger. He at once ordered 'Abbas to stand by the side of the plaintiff, so that every distinction be wiped out.' Abbas, being guilty, could not clear his position. But Mughira was so eloquent in giving vent to her compelled right that her very eyes, sparkling with passionate anger, seemed to speak for the worth in her bosom.

The nobles could not reconcile the audacity of the woman with forebearance of the Caliph. One of them could not help saying :

« O, woman ! Such conduct does not become in the presence of the caliph. You are so rude ».

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

a due share for the beggar and for one who is a needy."

In the chapter of "Al-Qalam" the pen", the Holy Qur'an relates the story of the people who owned a garden and who intended to cut out its fruits to deny the rights of the poor in those fruits, and how they were doomed :

"But a visitation came from your lord, came out on it (the garden) while they slept. So it became as black, barren land."

The Holy Qur'an also says :

« أرايت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين »

" Have you seen who belies religion? That is the one who is rough to the orphan. And urges not the feeding of the needy."

In another verse, the Holy Qur'an warns the disbelievers who are characterised by withholding the poor-rate in this way :

" . . . And woe to the disbelievers ! Who give not the poor-rate, and who deny the Hereafter."

The Holy Book urges us to pay the poor-rate in this verse :

" . . . And keep up prayer and pay the poor-rate and offer to God a goodly gift . . . "

«Anas», the companion of the Prophet reported that a man came to the Prophet and saide : "O Messenger of God ! I possess a good amount of wealth and I have a great number of relatives. Tell me how should I spend?» The Prophet said: "You have to pay the poor-rate out of your wealth, for it is a cleanliness for it, and keep your relation to your relatives, and know the right of the unfortunate, the neighbour, and the beggar."

"Aysha" also reported that the Prophet said : "I swear that there are three things, the performer of which is participating in three shares in Islam : Prayer, fasting, and almsgiving." It is reported in "Al-Bukhari" and "Muslim" that Garir ibn Abdullah said : "I paid the oath of allegiance to the Prophet that I will keep up prayer, pay the poor-rate, and give good council to every Muslim."

Those who withhold almsgiving are spoken of in they Holy Qur'an in this sharp language :

«والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون»

(" . . . And those who hoard up gold and silver and spend it not in God's way, announce to them

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

"They ask you as to what they can spend. Say: What ever wealth you spend, it is for the parents and the near of Kin and the orphans and the needy and the wayfarer. And whatever good you do, God surely is Knower of it.")

When Muslims were settled and the circle of their life was expanded through immigration to Medina, the amount of Zakat was fixed regarding all kind of wealth. So the amount of almsgiving regarding the harvests that were irrigated by rain was the tenth of it, and those which were irrigated by mashines was half tenth. The fourth of the tenth was the amount prescribed on gold and silver, and the same was fixed regarding the articles of trade. Those amounts were payable yearly. As to the almsgiving on animals such as camels, sheep and cows, the amounts are fixad in a special manner.

The reason behind the difference of the amount of Zakat, regarding the different amounts of wealth, is due to the difference of effort which is paid toward the earning of wealth. The more one pays in his effort to earn wealth, the less he gives in the amount of Zakat, and vice versa.

QUESTION :

What are the proofs to evidence the prescription of Zakat (almsgiving) in the Holy Qur'an and the Sunna?

ANSWER :

We said before that there are eighty two verses in the Holy Qur'an in which almsgiving is mentioned together with prayer. Among these verses we read :

«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة»

"And the believers, men and women, are friends one of another. They enjoin good and forbid evil and keep up prayer and pay the poor-rate . . . " and :

«الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر.»

"Those who, if we establish them in the earth, well keep up prayer and pay the poor-rate and enjoin good and forbid evil."

In the chapter of Al-Muddathir, the Holy Qur'an relates the profession of the people of Hell, and tells us about the reason of their miserable situation :

". . . They ask one another - About the guilty : What has brought you into hell ? They will say : We were not of those who performed prayer. Nor we did feed the poor." God, the Almighty, praises the praises the believers in this way :

«وفى أموالهم حق للسائل والمحروم»

"And in their wealth there was

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

you (alon) and seek your help, I say : To my servant what he a asked for. And when he says: Guide us 'o the right way, the way of those on whom you bestowed your favour, not those you are angry of them nor those who are stray, I say : Surely to My servant what he requested,

No wonder, then, to state that the Prayer supports the believer with big spiritual power. Dr. Alexis Carrel says in this respect: "The Prayer is a great sourse of vitality. As a physician I have seen many patients who were cured through prayer when the drugs failed to feal them.

Certainly the prayer is like the mineral of radium, a source of power and vitality."

Through prayer we are connected with the Originator of the universe, who help us over the difficulties of life. Our appeal to God in our Prayer is certainly a spiritual force which help us and give us peace and happiness.

What is the second worship prescribed in Islam ?

The second worship prescribed in Islam is almsgiving "Zakat". It is one of the five pillars of Islamic faith. It is mentioned to gether with prayer in eighty two verses in the Holy Quran. It is prescribed in both the Holy Quran and the Sunna. It is reported through "Ibn Abbas" that the Prophet (peace be upon him) said to his companion "Mu'adh ibn Jabal" when the Prophet sent him in a mission to Yemen : "You are going to reach a people who are followers of divine books. So call them to witness that there is no god but Allah and that I am the Messenger of God. If they accept, tell them that God has prescribed on them five prayers daily. If they obey, this, then tell them that God has preseribed on them a poor-rate in their wealth, to be taken from the rich among them and given back to the poor. If they accept to pay the poor-rate, do not follow the best and the dearest things of their wealth to take the poor-rate out of them. And guard against the call of the oppressed one, for the appeal of the oppressed supplicant is liable to reach God promptly."

Zakat was prescribed in Mecca undefined and unristricted to a special amount. It was left to the personal feeling of the rich toward the poor. The Quran says :

• ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو •

("... An they ask you as to what they can spend. Say : What you can spare . . .") and :

• يسألونك ماينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم • •

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

PILLARS OF ISLAM

(2)

By : Abdul Wadood Shalaby

What is the reason behind making the Prayer five times every a day ?

God preseribed the Prayer on the believers in a timely order for five times a day, in order to be a continuous spiritual exercise. This was illustrated by the Prophet when he asked some of his companions :

Suppose that you wash yourself up five times a day in a nearby river, would that leave out any dirt on you ? They answered : Certainly not. He said : This is like the five daily Prayers. They wash away all sins. The Prophet pictured that meaning in another time. He was sitting under a tree and beside him there was his companion "Salman Al-Farisi," and the Prophet picked up a dry branch out of the tree and shook it until all its leaves fell down, and said : O Salman ! You may be wondering why I do this ? Know then that if the Muslim maks a good ablution and performs the Five Prayers his sins will fall away from him just as the leaves of this branch. Then the Prophet recited this Verse :

« أقم الصـــلاة طرفى النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يزهبن السيئات ذالك ذكرى للذاكرين » .

("And keep up Prayer at the two ends of the day and in the first hours of the night. Surely good deeds take away evil deeds. This is a reminder for the mindful.")

Besides taking away sins, the Prayers transfer man from the world of hate and strife to the peaceful moments of humility and fear in the eyes of God. The Five Prayers are like five spiritual meals of appeal to God, which illumine his heart, and take the praying one from earth to heaven. They enable man to ask the Only Creator, the Self-Sufficient, who answers the applicant who appeals to Him Who said : I divided the Prayer between Myself and My servant. The portion of My servant is that I answer him. So when he says in his Prayer : Praise be to God, the lord of the Worlds, I say : My servant praised Me. When he says : The Beneficent, the Merciful, I say : My servant exalted Me. When he says : The Owner of the Day of Judgment, I say : My servant glorified Me. When he says : We worship

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

man kind as it embellished life by providing man with a brilliant and superior idealogy which covers the entire field of human conditions. By this brilliant system of life the prophet Muhammad lifted up a nation sunk so low as were the Arabs and made of them, in a short period of time, torch - bearers of a high culture and a great civilization. This system could unify the discordant elements of a society into a harmonious nation.

The ideal life that Islam seaks man to pursue is an ideal of developing and growing of itself to satisfy his future needs. And it gives a new meaning to life and impels man to strive for the attainment of the highest spiritual values

This ideal should link man's everyday life with the life hereafter. The Holy Quran states :

« وأن ليس للانسان إلا ماسعى ، وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى ، وأن إلى ربك المنتهى »
(سورة النجم ـ ٣٩)

« And that man can have nothing but what he strives for ; And that his striving will be seen; Then he will be rewarded for it with the fullest reward ; And that to your lord is the Goal ».

And :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »

« So he who does an atom's weight of good, will see it ; And he who does an atom's weight of evil, will see it »

The Cardinal principle of Islamic faith is to belive in the existence of God and His Oneness. This belief creats in Soul of man Courage, bravery humanity, brotherhood and equality. This faith also creats in him will of power for he is not dismayed by misfortune nor despair. The believer in the oneness of God will hava no fear from anybody and he knows that there is no harm and benefit except through Him,All authority and power are only to Him, He is the granter of mercy and prosperity, He is the owner of life and death. This belief, undoubtedly, will lead man to a stable, properious and happy life in this world and incite him to perfection and elevation, in order to attain the highest grade in the hereafter.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ISLAM AND LIFE

(1)

By : A. M. Mohiaddin Alwaye

Islam is a complete System of life suited to all times and climes and acceptable to all those that dwell under the sun. It is but natural for such a universal message to adopt itself to the varying conditions of human life. Islam consists of faith to regulate man's relation with his Lord and Sustainer, as it consists of legislation to regulate human behaviour in the capacity of an individual, a society and a nation. Its legislation should take into consideration all the needs of the human society, individually and collectively and should regulate all kinds of human relations.

Islam calls man to follow his original nature as designed by God. The Quran mentions that the true religion is to follow the nature, in which Allah has created man.

The Quran Says :

« فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم ، ولـكن أكثر الناس لا يعلمون » .

(سورة الروم : الآية ٣٠)

«So set thy purpose for religion as a man by nature upright, the nature (framed) of Allah, in which He has created man. There is no altering (the law of) Allah's Creation. That is the right religion, but most man know not ». The Holy Quran stated that Islam is a perfect constitution and an excellent guidance to mankind in all walks of life :

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بـكم عن سبيله » .

« This is my way : leading straight ; follow it, and follow not other ways, they should scatter you from His - Straight - path ».

Islam sought to liberate the mind of man from doubt and superstition and it rid him of the fear and suspicion. It made plain to him that nature can be his friend and not his enemy. As it created new interests and avenues for man to exploit. In short, Islam is a progressive liberation movement which freed mankind from the ideological bankruptcy and the failure of equality. It offered spiritual food to a Spirituall starved

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلينظر الانسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صباً . ثم شققنا الأرض شقاً . فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً . وزيتوناً ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعاً لكم ولأنعامكم . »

"Let man consider his food (and how we provide it). We (first) pour forth water in abundance, then split the earth in clefts and cause to grow therein corn and grapes and nutritious plants and olives and dates and enclosed gardens of thick foliage and fodder, provision for you and for your cattle." (LXXX: 24 - 32).

« وأن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ، من بين فرث ، ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ، ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون : الآية)

"And verily in the cattle (too) there is a lesson for you. From within their bodies, between excretions and blood, We produce milk which is pure and agreeable to drink. And from the fruits of the date-palm and the vine you obtain both strong drink and good nourishment. Therein also is a sign for the intelligent. And (consider again,) thy Lord inspired the bee to dwell in the hills and in the trees and in the structures (men) put up, and then to suck the juice of all kinds of flowers and to follow the directions of its Lord till there issues from within its body a drink of diverse hues, wherein is healing for men. Verily, herein is a sign for those who reflect" (XVI: 66 - 69).

The argument can go on into infinity, for His mercy and the signs of Truth are infinite.

From an all-pervading Providence, the Quran proceeds directly to the unity of God. To whom can man bow in adoration and submission but to the Lord, Who cherishes and sustains the entire Universe and Whose limitless bounty and mercy one acknowledges with every beat of one's heart.

« يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ، هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو »

"O mankind, reflect upon Allah's grace. Is there a creator other than Allah who gives you sustenance from the heavens and the earth? No, there is no God but He" (XXXV: 3).

The argument naturally leads also to the need, for man, of a moral code, of revelation and of a messenger from God. It is not possible that the Lord, Who has provided every necessary thing for man's material well-being, should not also have provided a discipline and order for his spiritual sustenance and progress. The spirit has needs just as much as the body, and it cannot be that God should provide all the wherewithal for the development of the body but nothing for that of the spirit.[1]

(1) The Quintessence of Islam.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

proposition; his reason revolts against it, his nature strives for constructive belief and faith and, in so doing, can pass through but cannot dwell in the barren regions of doubt and disbelief.

The Qur'an's approach in this matter is not dialectical; it deos not propound metaphysical these and frame logical arguments for them so as to compel an adversary to submission; it addresses itself always to man's natural instinct. According to the Qur'an, the sentiment of God worship is ingrained in human nature. If a man is inclined to turn away from it, it is but a laps on his part, and it is necessary to redirect his attention. Arguments will no doubt have to be used for this purpose but they must be such as will not merely create a ferment in his intellect and reason but will knock at the inner recesses of his heart and awaken his natural instinct. Once his instinct is awake and active, he will need no argument or sermon to take him to his goal.

« بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره » .

"Man('s very exis ence) is witness against himself, however he may Seek excuses." (LXXV : 14-15)

« قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فيقولون الله ، فقل أفلا تتقون » .

(Who provides you with neurishment from the sky and the earth? who has power over your hearing and sight? And who brings out a living being out of a lifeless one and a lifeless being out of a living one? And who rules and regulates every thing (with Such discipline and order)? (X : 31).

« أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أ إله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى . . . »

(Who created the heavnes and the earth? Who sends down for you rain from the sky, then causes to grow orchards, full of beauty and delight, whose trees it is not in your power to cause to grow? Is there another God (to be worshiped) besides Allah? (But alas,) there are people who stray from the right path. Say then, who fixed the earth as an abode and ran rivers in its folds and for (giving) it (balance), placed firm mountains and erected a barrier between two waters (i. e. between oceans or between an ocean and a river)? Can there be any God other than Allah? And yet (alas,) there are many that know not) (XXVII:60-61)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء العاشر - السنة السادسة والثلاثون - ذى الحجة سنة ١٣٨٤ هـ - ابريل ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر الأدب في ثورة العرب

بقلم : أحمد حسن الزيات

— ٢ —

قلت في المقال السابق : إن الأمة العربية في تاريخها الطويل الحفيل لم يكن لها غير نهضتين : نهضة في القرن السادس كانت بالدين انطلاقا من الجهل ، ونهضة في القرن العشرين كانت بالعلم انبعاثا من الموت ، وكان الأدب في كلتا النهضتين كما قررنا هو الباعث الأول كان في الأولى ومضة المنارة التي تذهب الضلال ، وكان في الأخرى نفخة الصور التي تسبق البعث ، فكيف كان العرب بعد أن تقدموا وقدموا الدنيا ، وكيف صاروا بعد أن تأخروا وأخروا الدين ؟ .

كان العرب في القرن الرابع للهجرة قد بلغوا من السلطان والعمران ما لم تبلغه من قبلهم أمة ، كانت لهم في عصر واحد ثلاث خلافات تشع الحرارة والنور في القارات الثلاث : خلافة العباسيين ذات العلم الأسود ببغداد في آسيا ، وخلافة الفاطميين ذات العلم الأبيض بالقاهرة في إفريقيا ، وخلافة الأمويين ذات العلم الأخضر بقرطبة في أوربا ، وكان العالم القديم كله من شرقه إلى غربه يعيش في ظلال هذا الملك العظم خاضعا للعرب الحاكمين خضوع الجيش للقائد أو القافلة للدليل ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلما أخلد العرب إلى الترف ، وفقدوا بالانقسام والخصام والترف قوة الاتحاد ، وقوة السلطان ، وقوة الدين ، وقوة العلم ، أصبحت ديارهم وآثارهم نهبا مقسما بين المغول والترك والفرس والجركس والأسبان .

وفعل التتار فى العراق ، والصليبيون فى الشام ، والفرنج فى الأندلس ، ما تفعله الزلازل والبراكين بالعمران المزدهر . ثم انحصر العالم العربى فى أواخر القرن الثامن عشر للميلاد فى العراق وسورية وبلاد العرب ومصر والسودان والمغرب ، وآل السلطان والحكم فيه إلى الدولة العثمانية سنة ١٥١٦ م فحكمته بالعسف ، القهر ، وأذلته بالجهل والفقر ، وفرقت بين أجزائه بالعزل والتعطيلة ، وطردت اللغة العربية من الدواوين حتى من محاكم الشريعة ، واستعملت التركية فى التعليم حتى فى دروس النحو ! ثم انقطع ما بين العرب والدين الصحيح والأدب الحر فاعتراهم مايشبه الخدر فى الحواس ، فلم يشعروا بالوجود ولم يحفلوا بالحياة ، حتى غشى الأرض ما غشى من طغيان عبد الحميد ، وقاست العروبة ما قاست من اضطهاد الأتراك ، فأخذ تاريخ المجد العربى يثور فى دروس بعض الزعماء والقادة ومأثور الأدب العربى يحيا فى نفوس بعض الشعراء والكتاب وانبعثت من وراء الرقابة الشديدة والجاسوسية اليقظة أصوات الأدباء تهيب فى خفوت وحذر بالراقدين أن يهبوا ، وبالقاعدين أن ينهضوا ، وسمع الناس أول ماسمعوا صرخات العرب المسيحيين لسوء سياسة الترك فيهم ، وقسوة الحكام عليهم ، كفتح الله مراش ، ورزق الله حسون ، وأديب اسحق ، وإبراهيم اليازجى صاحب البائية المشهورة التى نظمها فى سنة ١٨٩٦ م ومطلعها :

نبهوا واستفيقوا أيها العرب
فقد طمى السيل حتى غاصت الركب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم
تستغضبون ولا يبدو لكم غضب
ألستم من سطوا فى الأرض واقتحموا
شرقا وغربا وهزوا أينما ذهبوا
فما لكم ويحكم أصبحتم هملا
ووجه عزكم بالهون منتقب
لا دولة لكم يشتد أزركم
بها ولا ناصر للخطب ينتدب
أقداركم فى عيون الترك نازلة
وحقكم بين أيدى الترك مغتصب

والقصيدة كلها على هذا النسق من استنهاض العزائم لاسترجاع المجد الذاهب ، واسترداد الحق المغصوب وهى مثل لما كانت تنشره الصحف وترويه المجالس فى مهاجر الأحرار بمصر وأوربا وأمريكا ، وكانت هذه الصيحات المذكرة المنذرة تجد تشجيعا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من مدحت باشا والى تركية على العراق ، ثم على سـورية ، لأنه كان يطمع فى أن يستقل بالشام كما استقل محمد على بمصر ، فقويت حركة الإصلاح ، واتسعت دائرة المعارضة ، واشترك فيها المسيحيون والمسلمون على سواء .

ونهض يومئذ المصلح الحلبى العظيم الشيخ عبد الرحمن الكواكبى المتوفى سنة ١٩٠٢ م فألف كتابيه القيمين : « طبائع الاستبداد » و « أم القرى » ، دعا فى الأول إلى تحرير المجتمع العربى من العادات الضارة والاعتقادات الفاسدة ، ودعا فى الآخر إلى خلافة عربية يكون مقرها جزيرة العرب ، فكان لهذين الكتابين أثر قوى فى إنعاش الفكرة العربية ، قطع الترك على المؤلف من جرائهما كل سبيل ، وشردوه فى كل أفق .

ثم تجاوبت بأناشيد الذكرى والألم والأمل صيادح الشعر على ضفاف دجلة وبردى والأردن ، فيقول الرصافى من قصيدة عنوانها : « تنبيه النيام » :

عجبت لقوم يخضعون لدولة
يسومهم فى الموبقات عبيدها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها
وأموالها منهم ومنهم جنودها

ويقول الزهاوى من قصيدة نظمها فى سنة ١٨٩٧ :

لقد عبثت بالشعب أطماع ظالم
يحمله من جوره ما يحمل
فيا ويح قوم فوضوا أمر نفسهم
إلى ملك عن فعله ليس يسأل

ويقول عبد الحميد الرافعى فى طرابلس من قصيدة مطلعها :

ما تصلح الدنيا ولا تاسها
ما لم يل الأقوام أجناسها
هبوا بنى العرب .. إلام الكرى
وقد دعا الآمال داعيها
طلبتم الإصلاح من عصبة
توتر بالإفساد أقواسها
ألستم نسل القروم الألى
تقتحل الهامات أفراسها
فكم تقيمون على ذلة
وروضة الصبر ذوى آسها
فجردوا العزم الذى طالما
شق صدوراً طال وسواسها

ويقول سليمان الفاروقى فى فلسطين :

بنى انهضوا واحيوا حياة عزيزة
حياة تعيد المجد للعرب ثانيا
ألا نهضة شرقية عربية
تزلزل أقواما وتوهى رواسيا ؟
ألا رجل ذو مرة فيلمكم
ويرأب صدعا فيكم بات واهيا ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يقوم فلا يرتد أو يبلغ المدى
ويقضي ولكن يبعث السيف قاضيا

ثم انضم إلى أدباء العرب الثائرين على طغيان السلطان أحرار الأدباء من الأتراك أنفسهم من أمثال : رضا توفيق ، وولي الدين يكن ، فكان من أولئك كله وقود جزل للثورة التي أشعلتها في تركيا « جمعية الاتحاد والترقي » وكان أن أعلن في نورها الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ ، ثم كان أن سقط في نارها عبد الحميد في سنة ١٩٠٩ .

وظن العرب أنهم سينعمون في ظلال الدستور بالحرية والمساواة ، ولكن الظن كذب ، والأمل خاب ، وعاد الشعراء يقولون مع الفاروقي :

كنا نعال بالدستور أنفسنا
بفارغ الصبر ذاك اليوم نرتقب
حتى إذا جاء لم يحدث لنا حدثا
ولا استجيب لنا في مطلب طلب

واشتدت الخصومة بين العصبيتين : العربية والتركية ، واحتدمت ثورة الأدب ثانية في المجلات والصحف ، وتردد أصداؤها في المحافل والأندية ، وتجمعت القرى المتفرقة فتألفت الجمعيات السياسية في العواصم المختلفة كجمعية المنتدى العربي ، وجمعية العهد في الأستانة والجمعية القحطانية والجامعة العربية في مصر ، والجمعية الإصلاحية في بيروت ، وكلها كانت تعتمد في الدعاية على الأدب في شتى ضروبه ، وجميع مظاهره ، حتى شبت الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤ ، وكانت تركيا خصما فيها لانجلترا وفرنسا وهما الدولتان الطامعتان منذ طويل في اقتطاع الشرق العربي وابتلاعه من تركة الرجل المريض كما كانوا يسمون الدولة العلية ، وأراد الله جل شأنه أن يهيء الأمور لتحرير الأمة التي اختارها لإظهار دينه وإعلاء حقه ، فأسرف الأتراك في البغي وأمعنوا في الجور وحكموا بالإعدام ظالمين على صفوة من أقطاب الأدب والسياسة . فكان ذلك يوم سنة ١٩١٥ في ساحات بيروت ودمشق ، فكان استشهادهم المروع مناحة للأدب في كل قطر ، واستغل الاستعمار الراصد هذه النكبة ، فتقدمت انجلترا إلى الحسين بن علي شريف مكة في سنة ١٩١٦ بالوعد أن تجمع له الأقطار العربية كلها تحت تاجه ، فكانت ثورة الحجاز ، وكان انخذال الترك ، وكان استقلال العرب .

كذب الإنجليز وعدهم ، وصدق الله وعده ، وانتهى أمرهم إلى الانتداب والأمر لله وحده .

ذلك ما اتسع له القول في جهاد الأدب لإنهاض العرب في هذا القرن ، أما جهاده في جمع كلمتهم وتحقيق وحدتهم فهو موضوع المقال التالي ؟

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تحيّة الإمام الأكبر للمسلمين في عيد الأضحى

أيها المسلمون في أنحاء الدنيا :

بسم الله أحييكم في هذا اليوم الأغر ، يوم عيد المسلمين الأكبر ، يوم التضحية والفداء ، يوم العاشر من ذي الحجة - فإنه ما إن يطلع على العالم حتى تتعلق مشاعر المسلمين ببيت الله الحرام ، وتهفو قلوبهم إلى أم القرى مكة التي باركها الله ، ويتأهب الحجيج لأداء المناسك ، مستلهمين من الله العون على أداء فريضة الحج سائلين الله سبحانه أن يتم عليهم نعمته ، بعد أن لبوا نداء إبراهيم ، ودعوة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم - إنهم ليذكرون هذ الحرم الآمن ، الذي أسكن إليه إبراهيم فترك بجواره وديعته إسماعيل ، فتعهده الله بالتربية وشب في رمال الصحراء ، وترعرع بين الصفا والمروة « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

ثم يعود إبراهيم ليجد ابنه إسماعيل وقد صلب عوده ، وقويت بنيته ، فيعهد معه قواعد البيت العتيق ، « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » حتى إذا تم بناء البيت أتم الله نعمته على العرب فأمر خليله إبراهيم أن يؤذن في الناس بحج البيت المعمور ، ونادى إبراهيم ولبى الناس وما زالوا يلبون :

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك قال تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ربه ، وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح في مكان سحيق ، ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ، ثم محلها إلى البيت العتيق ، ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فإلهكم إله واحد فله أسلموا ، وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون ، والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر . كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم . كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين » .

أيها المسلمون :

وقد أراد الله سبحانه أن يكون بيته الحرام مثابة للناس وأمنا من عهد الخليل إبراهيم وأبي العرب إسماعيل قال تعالى : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وعهدنا إلى إبرهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ، واستمرت هذه الفريضة (فريضة الحج) وجددها الإسلام ، فجعلها أحد أركانه الخمسة . قال تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

يهرع المسلمون إلى هذا الرحم الآمن محرمين ملبين ، وحول البيت طوافين رافعين إليه أكف الضراعة ، وبين الصفا والمروة ساعين ، وعلى عرفات واقفين مستلهمين من الله مزيد الرحمات ذاكرين هذا اليوم الخالد يوم وقف رسول الإسلام والسلام : محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، وقد فتح الله عليه جزيرة العرب ، ودخل الناس في دين الله أفواجا وحج رسول الله حجة الوداع ، فخطب وخاطب الأجيال كلها من فوق جبل عرفات ، وقد اعتلى صلوات الله وسلامه عليه ناقته العضباء ، فأرسى قواعد الإسلام ، ورسم للأمة طريقها ، وخط لها مناهجها .

أيها الناس : اسمعوا قولي ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم . ألا قد بلغت اللهم فاشهد » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها » .

وأبطل الرسول فى هذه الخطبة الجامعة ما بقى من الربا - فقال صلوات الله عليه وسلامه « وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا » .

أيها الناس : ان الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه أبدا ، ولكنه أن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى بما تحقرون من أعمالكم - فاحذروه على دينكم » .

وفى خطبة الوداع - أيها المسلمون - التى يودع الرسول فيها مكة بلده الحبيب ويكاد يودع بها العالم كله مرتحلا إلى الرفيق الأعلى يضع للأسرة نظاماً وهديا نبويا ، يحفظ كيانها ويدعم بنيانها - أما بعد .

« أيها المسلمون : اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم » ويذكر الرسول فيما يذكر أنه قد ترك للمسلمين أمرين لن يضلوا ما تمسكوا بهما : كتاب الله وسنته ، ويسجل الرسول على أمته تبليغ رسالة ربه : « ألا هل بلغت فقالوا : اللهم نعم فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : اللهم فاشهد » .

أيها المسلمون فى كل مكان :

لكأنى برسول الله صلوات الله عليه وسلامه يعلمنا فى حجته هذه كيف نتخذ من اجتماع المسلمين الأكبر فى عرفات مؤتمرا إسلاميا نتدارس فيه مشاكل المسلمين ونجمع أمرنا على كلمة سواء ، كلمة الوحدة ، كلمة العروبة كلمة الاسلام ، وصدق الله إذ يقول : ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات .

أيها المستمعون الكرام :

لقد كان من نعم الله على عباده أن جعل لهم عقب كل فريضة سنوية عيدا يجتمعون فيه فيذكرون الله ويشكرونه على ما أولاهم من نعم وآلاء ، فأول شوال من كل عام عيد الفطر المبارك يستضيف الله فيه عباده الصائمين ليعترفوا بفضل الله على أن أعانهم على فريضة الصيام فيفرحوا بفضل الله عليهم فإن للصائم فرحتين : فرحة يوم فطره ، وفرحة يوم لقاء ربه .

وعيد الأضحى أيها المسلمون عيد أكبر يشكر المسلمون فيه ربهم على أن أعان حجاج بيته الحرام على أداء هذه الفريضة الجامعة ، وقد جعل الله شكره فى هذا اليوم الأغر بتقديم الهدى والضحايا قربانا لله بعد صلاة العيد قال تعالى : إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر . وهذه الهدايا وتلك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الضحايا التى يتقدم بها المسلمون إلى الله سبحانه وتعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منهم .

إن هذه الضحايا أيها المسلمون : إنما هى وتذكير بموقف خالد من مواقف البطولة شكر بالفداء موقف إبراهيم عليه السلام ، وقد رأى فى المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل فأسرع إلى تنفيذ ما أوحى به إليه ربه فى منامه ثم ما كان من إسماعيل وهو استجابة الابن البار استجابه مطلقة برا بأبيه وطاعة لربه ثم هو تذكير برحمة الله التى تنزل على عباده الصالحين ، « فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال : يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجـــزى المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الآخرين سلام على إبراهيم ، إنا كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين » ، ألا ما أروع التضحية وما أعظم الفداء .

أيها المسلمون : إننى من أرض الله المقدسة ومن بيت الله العتيق ، ومن أم القرى مكة المكرمة بعد أن أنعم الله على بحج بيته الحرام أسجد لله شكرا على ما أولانى من نعمة وأبعث إليكم فى بقاع الدنيا بتحياتى وتهنئتى لكم بالأصالة عن نفسى والنيابة عن أزهرنا المعمور ، وأبعث إلى جمهوريتنا العربية وفيها كعبة العلم (الأزهر الشريف) وإلى بلاد الدنيا جميعا بأطيب التهانى بعيد الأضحى المبارك سائلا الله سبحانه أن يجمع كلمة المسلمين ويوحد بينهم قادة وحكاما ومحكومين .

أيها السادة ... كل عام وأنتم جميعا بخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حسن مأمون
شيخ الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

and reason and were based, instead, on irrational dogmas. The Quran offered a rational conception for the worship of God.

2— The call of the Quran is basically addressed to intelligent understanding and rational reflection; it particularly invites man to look carefully at everything in the universe and to reflect upon it.

3— If man will use his powers of understanding and reflection he will realise that everything in the universe has been created with a particular purpose and that it is related to the rest of the universe under a superior discipline and order.

4— Once man begins so to reflect on the purposefulness of creation, the scales will drop from his eyes, his mind will shed ignorance, and the path to Truth will unfold itself before him.

Of all the manifestations of nature, the Quran has drawn mostly, for its argument, on the spirit and power of a Supreme Norisher and Sustainer, which is evident in the organisation of the universe as a whole, in every separate nook and corner and in every single being with in it. That the universe should so function that everything in it assists in the fundamental function of sustaining and continuing life, that everything that happens should prove to be a life giving force and, finally, that there should be evident an inherent organisation which takes into account every possible state and circumstance and makes every necessary adjustment cannot but instil in the instinct of man the assurance that there must be a Lord and Sustainer of the Universe. Otherwise such a perfect and flawless organisation for the sustenance and continuance of life in a wholly intelligent and ordered manner could not be possible.

Could such a universe com into existence by itself without any purpose, will or life force behind'it? It is blind nature, lifeless matter and senseless electrons which have made this perfectly conceived and organised universe, without there being any intelligent will behind it? Can it be that the function of norishment and sustenance is performed with out anyone to perform it, that there is a vast, complicated edifice but no architect, that things damaged are set right again without a repairer, that there are manifestations of mercy but no merciful being, that there are evident signs of intelligence, and wisdom without there being awise intelligence, that there is an organisation without an organiser, a drawing without an artist, a deed without a doer? Man's instinct refuses to accept such a